**برنامج مقياس مادة الابستومولوجيا:**

**المحور الأول: ماهية الابستومولوجيا و علاقتها بالدراسات المعرفية الأخرى.**

- تحديد المفاهيم المتعلقة بالإبستومولوجيا.
- مفهوم الإبستومولوجيا، و مراحل تطورها.
- علاقة الإبستومولوجيا بالدراسات المعرفية.
- طبيعة البحث الإبستومولوجي و حدوده.

**المحور الثاني: الإشكاليات الإبستومولوجية للعملية البحثية في العلوم السياسية.**

- عائق المنهج.( تعدد المناهج. الكم و الكيف.).
- عائق الموضوع.( العقلانية. التحيز .التعقيد.).
- عائق الإيديولوجية.( الذاتية و الموضوعية. التعميم.التحيز).

**المحور الثالث: إسهامات فلاسفة العلم.**

- كارل بوبر ( منطق الكشف العلمي).
- توماس كوهن ( بنية الثورات العلمية).
- إيمري لاكاتوش (منهجية برامج البحث العلمي).

**المحور الرابع:تطور علم السياسة.**

- حسب مبدأ التراكمية المعرفية.
- حسب مبدأ القطيعة الإبستومولوجية.

**المحور الخامس: النظرية السياسية**

- مفهوم و مكونات النظرية.
- الأسس المعرفية للنظرية السياسية( الدينية. السيكولوجية).
- تصنيف النظريات.
- مستويات بنية النظرية في العلاقات الدولية.
- الحوارات النظرية في العلاقات الدولية.

## أهم الإشكاليات التي تثار حول الإبستومولوجيا كفرع معرفي.

– ماذا نعني بالإبستومولوجيا؟ و كيف نميزها عن غيرها من العلوم الأخرى؟.

– ما هي أهم المفاهيم المتقاربة و المتداخلة مع مفهوم الإبستومولوجيا؟.

– ما هي أسباب انفتاح حقل العلوم السياسية على إسهامات فلاسفة العلم؟.

– ما هي انعكاسات إسهامات فلاسفة العلم على حقل العلاقات الدولية؟.

– ما هي الأسس المعرفية للنظرية السياسية؟ كيف تطورت أفكارها و أطروحاتها النظرية؟، و ما علاقة ذلك بالنسق المعرفي السائد، و النموذج المعرفي المسيطر؟.

– ما هي أهم الأطر النظرية و النظريات السائدة في حقل العلاقات الدولية، كيف تطورت تاريخياً، و كيف يؤثر ذلك على صعود أو انزواء نظريا معينة؟.

– ما هي حدود العلاقة بين بنية النظرية بحقل العلوم السياسية و الممارسة الأكاديمية في هذا الحقل؟ بمعنى هل كانت هناك استجابة و تفاعل من قبل الباحثين في موضوعات العلاقات الدولية مع التغيرات الحادثة على مستوى البنية النظرية للحقل، أم هناك انفصال؟.

– ما هي حدود التغيير و الاستمرارية في حقل العلوم السياسية و العلاقات الدولية؟ بمعنى هل ظهور نظريات جديدة يؤدي فعلاً إلى تجاوز النظريات السابقة لها بصورة دائمة أم أن هناك صيرورة أخرى للتطور؟ بمعنى آخر هل يتطور علم السياسة وفق مسار تراكمي أو يتطور عن طريق القطيعة؟.

– هل بالإمكان التوصل إلى نظرية علمية في حقل العلوم السياسية عموماً و العلاقات الدولية خصوصاً، مماثلة أو قريبة من النظريات العلمية التي تبلورت في مجال العلوم الأخرى، و بخاصة العلوم الطبيعية و الرياضية؟.

## المحور الأول: ماهية الابستومولوجيا و علاقتها بالدراسات المعرفية الأخرى.

### تحديد المفاهيم المتعلقة بالإبستومولوجيا:

**1- النظرية:** هي مصطلح يوناني الأصل مشتق من كلمة theorin التي تعني عملية الملاحظة، ووجود عملية الملاحظة في معنى أو تعريف النظرية يدل على أن النظرية هي عبارة عم مجموعة مترابطة من المسلمات و المفاهيم المتعلقة بظاهرة خضعت لمراحل التجربة العلمية كالملاحظة، التنبؤ، الاختبار.

النظرية ليست فرضية أو افتراض، النظرية هي أشمل و أقوى و أدق من الفرضية، لأن الفرضية هي عبارة عن عملية تنبؤ بوجود علاقة بين متغيرات المكونة للظاهرة بدون إخضاع الظاهرة للتجربة، أما النظرية هي عبارة عن إطار منظم من المفاهيم و المسلمات التي تحدد و تفسر طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة، ينشأ هذا الإطار من المفاهيم و المسلمات من براهين و أدلة علمية و عملية خضعت للاختبار و التجربة. و تتميز النظرية عادة بوجود علاقة سببية أو حتمية متعلقة بالموضوع أو الظاهرة، معنى هذا أن النظرية عي عبارة عن إطار منظم من المفاهيم و المسلمات التي تفسر الظواهر استناداً إلى القاعدة السببية، إذا توفرت معطيات و شروط معينة، فإنها بحكم الاختبار و التجربة ستؤدي حتماً إلى نتائج و معطيات.

**2- الاقتراب (المدخل):** هو مجموعة من الأفكار و المفاهيم المستخدمة من أجل التعامل مع ظاهرة معينة أو موضوع معين ، فالتفسير ظاهرة معينة يدفع الباحث إلى اختيار مجموعة معينة من المفاهيم و الأفكار التي توجه الباحث أثناء التعامل مع الظاهرة يسمى هذا الإطار من المفاهيم و الأفكار بالاقتراب.

**الفرق بين النظرية و الاقتراب:** الفرق الموجود هو أن النظرية أكثر دقة و علمية من الاقتراب، لأن الاقتراب هو عبارة عن مجموعة من المبادئ و الفرضيات التي تحاول تفسير طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة، بدون الارتكاز على علاقة سببية أو حتمية دائمة و علمية، عكس النظرية التي ترتكز أفكارها على أدلة علمية و عملية خضعت للتجربة المستمرة، مما أدى إلى وجود علاقة سببية و حتمية بين مكونات الظاهرة. فالاقتراب هو عبارة عن إطار مفاهيمي شامل لوجيه الباحث، بينما النظرية فهي بمثابة قانون علمي.

**3- المنهج:** هو عبارة عن مجموعة الخطوات المتبعة و الوسائل المستخدمة للوصول إلى القاعدة أو الحتمية العلمية، بمعنى آخر المنهج هو مجموعة إجراءات و تقنيات التي يحصل من خلالها على المعلومات و المعطيات المتعلقة بالظاهرة محل الدراسة.

هناك علاقة وطيدة بين النظرية و المنهج، فالمنهج هو عبارة عن مجموعة الطرق و الأساليب المستخدمة للوصول إلى النظرية، فالمنهج هو الطريقة التي توصل الباحث من خلالها إلى تحديد و تفسير طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة، ففي هذا الإطار المنهج هو وسيلة أو أداة تستخدم لتحقيق و الوصول إلى نتيجة علمية معينة.

**4/ المدرسة:** هي عبارة عن إطار معرفي علمي يشمل مجموعة من النظريات و الاقترابات و المناهج، وجود هذه النظريات في إطار معرفي واحد هو راجع أساساً إلى إيمان أو اقتناع هذه الاقترابات و النظريات بنفس المبادئ و المعتقدات العلمية و المنهجية، تنتمي إلى المدرسة فرقة علمية من الباحثين و المفكرين تؤمن بنفس المبادئ العلمية في فترة زمنية معينة و ليس في كل الحالات هذه المعتقدات تنشأ من مصدر أو أصل واحد يسمى بعميد أو مؤسس المدرسة.

**5- النموذج المعرفي:** و هو مجموعة متجانسة من المعتقدات و النظريات و الاقترابات و القوانين و المناهج، تشترك فيها و يؤمن بها أعضاء مجتمع علمي معين في فترة زمنية معينة، هذا التعريف يدل على وجود نشابه كبير بين مصطلح المدرسة و النموذج المعرفي .

استعمال النموذج المعرفي كان موجهاً بالأساس لميدان العلوم الطبيعية، و مع ظهور المدرسة السلوكية في العلوم الإنسانية حاولت تطبيق مفاهيم و مناهج العلوم الطبيعية في ميدان العلوم الإنسانية و لاجتماعية، لكنها لم تستطع الوصول إلى نموذج معرفي شامل و واحد يخص ميدان السياسة، بل وصلو إلى ضرورة وجود نماذج معرفية مختلفة لفهم شامل للظواهر السياسية، لأن ميدان السياسية و العلوم الإنسانية لا يمكن أن نطبق عليها قوانين ثابتة لما تتميز به الظواهر الإنسانية من حركية و ديناميكية و تعقيد و تنوع و تعدد.

كذلك يكمن الفرق بين النموذج المعرفي و المدرسة، و هو أن النموذج المعرفي أشمل إلى حدٍّ ما، فيمكن للنموذج المعرفي أن يحتوي على مدرستين أو عدّة مدارس، فهناك نموذج معرفي في العلاقات الدولية يسمى بالنموذج الراديكالي و هو يصور العالم كإخطبوط ذو الرؤوس المتعددة، هذا التصور يرجع و يركز على ظواهر الهيمنة و الاستغلال بالأشكال المتنوعة، و يدور موضوعه حول النظام العالمي و أنماط الإنتاج، و يشمل مدارس و نظريات رفضت واقع النظام الدولي و نادت بالتغيير على غرار

الماركسية و التبعية... الخ، و هناك نموذج معرفي ثان و هو النموذج الواقعي الذي يركز على أن الدولة هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية و اعتبار القوة و المصلحة عوامل محركة في العلاقات الدولية، و تنتمي إلى هذه المدرسة العديد من النظريات على غرار، نظرية الفوضى، توازن القوى، الردع ...الخ. إلى جانب الواقعي و الراديكالي هناك نموذج آخر يسمى بالنموذج التعدّدي، الذي يشمل مجموعة من المدارس و النظريات التي صورت العالم كبيت العنكبوت المركب من شبكة معقدة من العلاقات على غرار المدرسة الليبرالية و الوظيفية و الاعتماد المتبادل و العولمة...الخ.

ضل نؤرخ العلم إلى أوائل الستينات يعتمدون على أطروحة متوارثة من عصر التنوير ترى أن العلم يتقدم بشكل مستمر و منظم و متصاعد، إلى أن قدم توماس كوهن مفهوم النموذج المعرفي كإطار تفسيري لكيفية تقدم و تطور العلم من خلال ثورات علمية و ليس عبر خط تصاعدي.

النموذج المعرفي و تطور العلم: يرتبط تطور العلم و انتقاله من مرحلة إلى أخرى بظهور نموذج معرفي جديد يحدث ثورة في بنية العلم، من خلال ما يقدمه من حلول لمشكلات و معضلات علمية لم يتمكن النموذج القديم من التعامل معها، و طبقاً لرأي توماس كون فإن النماذج المعرفية تلعب دورا حيوياً و معقداً، فالمرحلة الأولى لمعظم العلوم أي مراحل ما قبل النموذج المعرفي كما يطلق عليها توماس موهن تتصف بأنها فوضى عامة من المفاهيم و الرؤى المختلفة و المتنافسة، لا يمكن وصف أي منها بأنها صحيحة، طالما أنها جميعاً تحقق توافقاً مع المنهج العلمي السائد في ذالك الوقت، و عندما تتحقق سيادة أي من هذه الرؤى و تتحول إلى نموذج معرفي الذي تتبناه أغلبية أعضاء المجتمع الأكاديمي، و يضل هذا العلم في حالة نمو و تطور و حيوية، ما دام قادراً على حل مشكلاته، و عندما يفشل النموذج المعرفي في تقديم الجديد و التعاطي مع المشكلات بصورة فعالة، و تضعف القناعة به، يظهر النموذج المعرفي الجديد، الذي يقوم بداية بهدم القديم و التشكيك في أسسه و معتقداته، و لا يعتبر النموذج المعرفي الجديد إضافة كمية إلى المعرفة الموجودة، و إنما هو تغيير ثوري قي القواعد و الأسس و إعادة صياغة الفرضيات الكبرى للنظريات السابقة، و عندما يتم التحول إلى النموذج الجديد فإن النظريات القديمة لا ينظر إليها على أنها كانت خاطئة طالما طبقت على تلك الظواهر التي تعاملت معها و فسرتها بدقة. و قبول نموذج معرفي جديد نادراً ما يكون سهلاً، لأنه يعتمد على عوامل مختلفة عاطفية و سياسية و علمية و إدارية، و ربما يستغرق أكثر من جيل واحد قبل أن يتأسس في المجتمع العلمي.

**6- المنظور**: يعّرف المنظور بمجموعة الرموز و المفاهيم التي يستخدمها الإنسان للاختبار من مجموعة بدائل في موضوع ما، و بذالك فإن المنظور بسمح لنا باختيار مدركاتنا و تنظيمها و توجيه أفعالنا.

و المنظور يعني القيم و المعتقدات و الاتجاهات، و المعاني التي تتوفر في الإطار الفكري، أو في وجهة نظر الفرد على موقف معين، و يتكون من مجموعة مبادئ تؤثر في ما يدركه الشخص في تفسيره للظواهر محل الدراسة. و عليه فإن المنظور يعكس تأثير القيم و التصورات للباحث على موضوع البحث، و المدخل الذي يختاره، و النظرية التي يتبناها، كل ذالك يعكس دور البعد التأملي و دور الثقافة و الهوية على الباحث.

يرى كارل مانهايم: بأن المنظور هو الطريقة التي يرى بها الشخص موضوعاً من الموضوعات فالمنظور هو مجموعة العوامل المسئولة عن اختلاف شخصين في الحكم على موضوع واحد، إذن فالمنظورية تتلخص في أن كل معرفة هي نسبية للموضوع العارف و حاجتهن و تظهر وجهة نظر الباحث من خلال المنظور الذي يرى منه العلاقات الدولية، من ذلك المنطلق يقول روبرت كوكس:

( النظرية دائماً لبعض الأشخاص و لبعض الأغراض) و في رأيه كل نظرية تمتلك منظوراً خاصاً، و المنظور ينبثق من الوضع المحدد بالزمان و المكان، و بالتحديد الزمان و المكان الاجتماعي و السياسي، و رؤية العالم يتم من مواقع مختلفة، لذلك النظرية تمثل نفسها فقط، و يجب التعامل معها بطريقة نقدية.

**مفهوم الإبستومولوجيا، و مراحل تطورها:**

**تقديم:** تكتسي الدراسات الإبستومولوجية التي تتناول قضايا المعرفة عامة، و الفكر العلمي خاصة، أهمية بالغة في الوقت الحاضر، بل يمكن القول أنها الميدان الرئيسي الذي يستقطب الأبحاث الفلسفية في القرن 20م.

صحيح أن الفلسفة الحديثة هي على العموم فلسفة المعرفة بالمقارنة مع الفلسفة القديمة اليونانية أو فلسفة القرون الوسطى، حيث نقول أن هناك فرق بين فلسفة العلم أو المعرفة كما ظهرت في بداياتها مع كل من ديكارت و غاليلي و بين الدراسات الإبستومولوجية المعاصرة، التي ظهرت عقب الثورة العلمية الحديثة، التي شهدها العقد الأول من القرن 20م، فهناك فرق بين الفيزياء الكلاسيكية التي دشنها غاليلي و شيد صرحها نيوتن و بين الفيزياء الذرية الذي أرسى دعائمها اينشتاين و غيره من علماء الفيزياء الذرية، و بين الرياضيات المعاصرة و الرياضيات الحديثة من جهة أخرى.

و نحن هنا في الوطن العربي ما زلنا متخلفين عن ركب الفكر العلمي، تقنية و تفكيراً، و مازالت الدراسات الفلسفية عندنا منشغلة بالآراء الميتافيزيقية أكثر من اهتمامها بقضايا العلم و المعرفة و التكنولوجيا، الشيء الذي انعكست آثاره على جامعاتنا و مناخنا الثقافي العام، هذا في الوقت نحن في

أحوج ما نكون إلى تحديث العقل العربي، و تجديد الذهنية العربية و الوسيلة إلى ذلك هو أنه لابد من الدفع بمدارسنا و جامعاتنا إلى مسايرة تطور الفكر العلمي، و العمل على نشر المعرفة العلمية على أوسع نطاق، إن توجيه اهتمام الطلبة و المثقفين إلى الفلسفات العلمية التي تعمل جاهدة على ملاحقة الفكر العلمي في تطوره و تقدمه و تحليل نتائجه و دراسة نتائجه ضرورة أكيدة،إذا ما أردنا الارتفاع بطلابنا و مثقفينا إلى المستوى الذي يمّكنهم أن يعيشو عصرهم عصر العلم و التكنولوجيا، أضف إلى ذالك أن نشر المعرفة العلمية و أساليب التفكير العلمي على أوسع نطاق في المعاهد و الكليات هو الوسيلة الوحيدة التي تمكن من إقامة جسور بين المهتمين بالدراسات النظرية و المختصين بالأبحاث التطبيقية، و الذي يحقق وحدة التفكير بين مختلف قطاعات النخب.

## مفهوم الإبستومولوجيا:

يعد التحليل الإبستومولوجي أحد أفرع الثلاثة للفلسفة التي انقسمت إليها الفلسفة في طورها الحديث، و هي: الإبستومولوجيا و الانطولوجيا و هي مبحث الوجود و الماهية، و الاكسيولوجيا و هو مبحث القيم و الجمال، و الإبستومولوجيا مفهم يتكون من مقطعين épistème بمعنى المعرفة العلمية و logos بمعنى علم، أي علم المعرفة العلمية، أو علم العلم، و هو هلم يجعل من العلم موضوع الدراسة.

و كثيرا ما يتم الخلط في الاستخدام العربي بين الإبستومولوجيا و نظرية المعرفة غير أنه إذا كانت نظرية المعرفة تهتم بدراسة جميع أنواع المعارف، فإن الإبستومولوجيا تهتم فقط بالمعرفة العلمية وحدها.

كذالك يقع الخلط بين الإبستومولوجيا و بين المنهجية و علم المناهج، ذالك أن علم المناهج هو العلم الذي يهتم بدراسة إجراءات الوصول إلى المعرفة، بينما الإبستومولوجيا تهتم أساساً بمبادئ المعرفة العلمية و افتراضاتها و نتائجها، هذا فضلاً على أن التفكير الإبستومولوجي يبدأ عندما تكون هناك أزمات في العلوم و فجوات في المناهج.

كما يقع الخلط أيضاً بين الإبستومولوجيا و بين تاريخ العلم الذي يهتم بتطور العلم و يبحث في التكوينات الجنينية للأفكار و الإرهاصات الأولى للعلوم المعاصرة، بينما الإبستومولوجيا تهتم بالكيفية التي تتحول بها الأفكار الجنينية إلى أنساق معرفية أو إلى أجزاء أنساق.

**يعرفها لالاند:** (( هي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم المختلفة و فروضها و نتائجها، و تهدف إلى تحديد أصلها المنطقي و قيمتها الموضوعية)).

و تقوم فلسفة العلوم على ثلاثة منظورات، و هو منظور تحليلي قائم على تحليل قضايا العلم و تحديد بنيتها و من ثم تصبح لغة الإبستومولوجيا شارحة تقوم على تفكيك لغة النص العلمي، أما المنظور الثاني هو المنظور النقدي، فالإبستومولوجيا لن تكتفي بالتحليل و إنما أدخلت النقد الذي يشكل أداة ضرورية و حجر الزاوية في هذا الفرع المعرفي، أما المنظور الثالث فهو تاريخي و هو تتبع ظهور المسائل و تطورها و تطور حلولها عبر التاريخ بالتحليل و النقد، أي تحليل و نقد الأفكار الأساسية و استخراج المبادئ التي تقوم عليها العلوم في إطار نظرة تقويمية لقوانينها و نظرياتها.

و الإبستومولوجيا قبل أن تصبح فرعاً من الفلسفة كانت جزءاً منها، إلّا أن الاهتمام بهذا النوع من الدراسات بصفته العلمية لا الفلسفية كان حديث العهد و بدأ بشكل عام في الأربعينيات و بالضبط سنة 1935 عندما انعقد أول مؤتمر دولي لفلسفة العلوم في بالريس و الذي تم فيه تسمية هذا العلم، و من ثم أصبح متداولاً في الأوساط العلمية، و من إرهاصات ظهورها.

* أفلاطون أول من أصل لهذا العلم ، و منذ الإغريق و حتى القرن 16م لم تشهد تطوراً كبيراً.

* التطورات العلمية المختلفة التي انطلقت في القرن 16م منها أعمال الفلكي و الرياضي كوفلر الذي شرع في صياغة نظرية كوبرنيك الفلكية، ووضع قوانينها التي اشتهرت في علة الفلك، و ساهمت في الثورة العلمية.

* اكتشافات غاليلي التي من خلالها وضع قوانين لحركة الجسم الساقطة، و مفنداً التفسير الأرسطي الذي يرجع ذالك إلى فكرة الثقل، كما ساهم في محاربة الفكر الفلسفي الميتافيزيقي و الفكر الديني الكنسي.

* أعمال فرنسيس بيكون التي أثبت من خلالها عقم المنطق الأرسطي ( القياس)، و عدم ملائمته كمنهج للبحث العلمي، و خاصة التجريب بأنواعه.

* أعمال ديكارت الذي أعاد الحيوية للعقل، أو ما تسمى بالفلسفة العقلية.

* ايمانويل كانط حيث أسهم بأبحاثه الفلسفية في التميز بين العلم و الفلسفة، و إقامة حدود بينهما في كتابه " نقد العقل الخالص" حيث أسس علماً لا هو بالعلم و لا هو بالفلسفة، و يستحسن تسميت هذا العلم بفلسفة العلوم.

* ظهور المدرسة الوضعية التي تبنت المنهج التجريبي و دعت إلى اعتماده في كل مجالات العلوم المختلفة.

* إسهامات بيثراند راسل الذي يعتبر أول من أعطى مفهوم واضح و أصل لمفهوم الإبستومولوجيا في القرن 20م، و الذي نظر إلى الإبستومولوجيا على أنه ذلك الفرع من الفلسفة الذي يركز على طبيعة المعرفة العلمية و مجالها.

و تنقسم الإبستومولوجيا إلى نوعين: أولهما: الإبستومولوجيا الشخصية أو الفردية و هي تلك التي ترتكز على علوم الإدراك و المعرفة البشرية، و تحاول أن تعرف و تفسر التكوين المعماري للعقل البشري، و ثانيها: الإبستومولوجيا الاجتماعية و التي تركز على الحقائق و النظم الاجتماعية للعلم و تقوم على تحليل النظريات و المفاهيم و المناهج و تحديد المبادئ و الافتراضات.

## تطبيق التحليل الإبستومولوجي على مفهوم العروبة

العروبة هي كلمة تعبر عن شيئين هي الهوية و العرق و الحركة السياسية كتيار سياسي تتبنى هذه الفكرة ، و هو ما يطلق عليه القومية، و قد برزت في القرن 19م و بداية القرن20م ، عندما نمارس عليها التحليل الإبستومولوجي، فالعروبة أو العربي هو ذات أصل عربي، فالتحليل لا يكفي في النظر في هذا الطرح، بل نتساءل متى جاء هذا المصطلح هل كان فيه مفهوم آخر، متى انتقل إلى الفكر السياسي العربي ، و أصبح تيار سياسي، فنجد أن هذا التعريف جاء قبل القرن 19م ، مثلاً ابن خلدون تكلم في المقدمة عن العروبة ، و تكلم عن العرب العاربة و هم أصل العرب، و العرب المستعربة التي دخلت الإسلام و العرب البائدة، أي أن العروبة كانت في مفهومها هي الاشتراك في الثقافة العربية، ثم إذا رجعنا إلى مفهوم ابن خلدون فقد ربطها بمفهوم العصبية، أي أن هذا المفهوم متأثر و مناسب للبيئة الاجتماعية و للمرحلة التاريخية، ففكرة العصبية التي تفسر على أساس عرقي هي كفكرة دخيلة على المسلمين، لان الإسلام أكد على نبذ العصبية و التفرقة على أساس العرق، لكنها الفكرة كانت مستوحاة من الفكر الغربي الكنسي، التي انتشرت في أوروبا خلال القرون الوسطى و عصر النهضة، من خلال الحروب الدينية و ظهور النزعة القومية و انقسام أوربا على أساس عرقي ( فرنسا ايطاليا اسبانيا ألمانيا ..). فالإبستومولوجيا تنظر إلى الخلفيات و إلى النتائج التي أدت إلى رهانات سلطوية، و الذي تكشف لنا من خلال التحليل الإبستومولوجي هي ضرب الوحدة التي كانت تمثلها الدول الإسلامية مجتمعة في إطار دولة موحدة، ضرب الوحدة الإسلامية و جعل المحيط الإسلامي محيط معادي ( إيران ، تركيا، و خلق مشكلة الأقليات في العالم العربي الأكراد ، البربر، ... ) و إخراج الدول الإسلامية غير العربية في

الصراع حول قضايا مصيرية مثل القضية الفلسطينية، و عليه يمكن القول أن الرهانات السلطوية الموجود من خلال دعم فكرة العروبة و اتجاهاتها السياسية على ثلاثة مستويات:

1- مشروع الإستراتيجية الدولية و الغربية ( مشروع سايكس بيكو و بناء إسرائيل ).

2- مشروع إقليمي عربي من خلال النخب العربية، و تقزيم و تضييق الصراع من المحيط الإسلامي إلى المحيط العربي إلى المحيط القطري( مشكل أقليات، صراع سياسي داخلي بين العروبي و الإسلامي، الصراعات العربية العربية) و من ثم سهولة السيطرة و الاستغلال.

3- الهدف النهائي و هو الضامن لعدم قيام وحدة و هو غرس الكيان الصهيوني و إقامة كيان خاص لليهود في فلسطين.

و هذا الهدف يؤكد من خلال التحليل النقدي الإبستومولوجي لهذا المفهوم.

## - علاقة الإبستومولوجيا بالدراسات المعرفية

يتداخل موضوع الإبستومولوجيا كفرع مهتم بقضايا العلم مع العديد من العلوم المعرفية التي تتخذ من العلم و المعرفة موضوعاً لها، مما يجعلها تتقاطع معها، كنظرية المعرفة، و فلسفة العلوم، و الميتادولوجيا.

### 1- علاقة الإبستومولوجيا بنظرية المعرفة:

تهتم نظرية المعرفة بتحليل طبيعة المعرفة و ارتباطها بمصطلحات مثل الحقيقة و الاعتقاد التعليل و التبرير، كما تدرس أيضاً وسائل إنتاج المعرفة، كما تهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة، بعبارة أخرى تحاول نظرية المعرفة أن تجيب عن الأسئلة ما هي المعرفة؟ كيف يتم الحصول على المعرفة؟.

و يرى أغلب العلماء المعاصرين ضرورة التميز بين الإبستومولوجيا و نظرية المعرفة استناداً إلى أن الإبستومولوجيا تهتم بنظرية المعرفة العلمية، في حين تتناول نظرية المعرفة كل أنواع المعارف، و عند التميز بين هذين المفهومين نجد ثلاثة اتجاهات أساسية:

**الاتجاه الأول:** يعتمده الفلاسفة الناطقون باللغة الإنجليزية و اللذين يستخدمون اللفظين بالمعنى نفسه، و لم يقيمون أية تفرقة بين الميدانين، فنجدهم يعرفون الإبستومولوجيا أو نظرية المعرفة بأنه ذالك الفرع من الفلسفة الذي ينصرف إلى دراسة طبيعة المعرفة و حدودها، و بالتالي يستخدم اللفظان للدلالة على المفهوم نفسه.

**الاتجاه الثاني:** فيمثل موقف الإبستومولوجيين الفلاسفة اللذين يقربون بين مفهومي الإبستومولوجيا و نظرية المعرفة، فالعلاقة بينهما حسب هؤلاء هي علاقة الجنس بالنوع، لأن الإبستومولوجيا تبحث في صورة خاصة من صور المعرفة و هي المعرفة العلمية، حيث إن الإبستومولوجيا تقتصر على شكل وحيد من المعرفة و هو المعرفة العلمية، و على الرغم من ذلك، فإن التمييز بينهما سرعان ما يمحى عندما نرجع النوع إلى الجنس وحده، كما هو الحال لدى المؤلفين الذين يطلقون تعبير المعرفة على المعرفة العلمية وحدها، و هو موقف الوضعية.

**الاتجاه الثالث:** فيمثله الفلاسفة الذين ينتمون إلى الاتجاه الوضعي، و اللذين يرفضون أن تكون هناك أي علاقة بين الإبستومولوجيا و نظرية المعرفة، حيث يعتبرون أن المعرفة هي نوع واحد و هي المعرفة العلمية، قلا يعترفون بأية نظرية لا تكون تحليلاً منطقياً لقضايا العلم رافضين في الوقت ذاته أن تكون هناك أية علاقة بين الإبستومولوجيا و نظرية المعرفة.

و بناءاً على ما سبق فالعلاقة بين نظرية المعرفة و العلم من أكثر العلاقات التي عرفت جدالاً بين العلماء و الفلاسفة، نظراً للتقارب بين المصطلحين لغوياً من جهة، و لكون العلماء يعتبرون أن أية معرفة في الوقت الراهن هي معرفة علمية، على اعتبار أن باقي المعارف الأخرى هي معارف سابقة عن المعارف العلمية.

**2- علاقة الإبستومولوجيا بفلسفة العلوم:**

فلسفة العلوم أحد أفرع الفلسفة تعتم بدراسة الأسس الفلسفية و الافتراضات و المضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة( العلوم، الفيزياء، الرياضيات، العلوم الاجتماعية و الإنسانية)، و عند التمييز بين الإبستومولوجيا و فلسفة العلوم نجد صعوبة بالنظر إلى مرونة مصطلح فلسفة العلوم، و كذا رفض البعض على الصفة الفلسفية للبحث الإبستومولوجي، بحيث يذهب البعض من الإبستومولوجيين إلى أبعد من ذلك، فيقطعون الجسر بين المفهومين و كأنهم يسعون إلى صون الإبستومولوجيا كمصطلح جديد من الفلسفة، الأمر الذي يقارب بين المفهوم و العلم، و هو ما يجعلهم يتحاشون استعمال هذه الكلمة( فلسفة)، و هو ما يميل إليه أولائك الذين لا يعترفون بأي شكل للمعرفة سوى الشكل العلمي، و أكثر من ذالك أن الإبستومولوجيا باتت تفلت من قبضة الفلاسفة، و تنتقل إلى العلماء أنفسهم، و هي سمة من سمات الإبستومولوجيا المعاصرة.

غير أن الإبستومولوجيا قد تحولت إلى مبحث من مباحث الفلسفة على مستوى الدراسات الأكاديمية، فإذا نظرنا إلى فلسفة العلوم بالمعنى الواسع وجدنا أن الإبستومولوجيا فصلاً من فصولها، فيعد التحليل

الإبستومولوجي أحد أفرع الثلاثة التي انقسمت إليها الفلسفة المعاصرة، إلى جانب الانطولوجيا و هي مبحث الوجود و الماهية, و الاكسيولوجيا و هي مبحث القيم و الجمال. فالإبستومولوجيا ليست من صنع العلماء، و هي لا تخاطبهم إلاّ عرضاً، و من شأن الفلسفة أن تعتني عناية عفوية بفلسفة العلوم بهدف إيضاح سبل المعرفة العلمية، و تحديد موضوعاتها التي تتناولها و تبيان صحتها.

**3- علاقة الإبستومولوجيا بعلم المناهج:**

علم المناهج هو مجموعة العمليات العقلية و العملية الممارسة التي يقوم بها الباحث من بدء بحثه إلى نهايته، من أجل الكشف عن الحقيقة و البرهان على الفرضيات الموضوعة. و يعتبر علم المناهج الدراسة الوصفية لمناهج البحث المعتمدة في شتى العلوم، بينما الإبستومولوجيا هي الدراسة النقدية التي تبحث في المناهج و الأسس و النتائج.

و هناك اتجاهين من يرى أن التفرقة بين الإبستومولوجيا و علم المناهج هي تفرقة تخص القرن التاسع عشر، حيث كان علم المناهج جزءاً من المنطق، و يرى هذا الموقف أنه لا يمكن للإبستومولوجيا أن تبحث في مبادئ العلوم و نتائجها دون التساؤل حول قيمة و طبيعة المناهج المستخدمة، و عليه يمكن الاستنتاج بأنه لا يمكن الفصل بين المفهومين، لأن التفكير الإبستومولوجي يبدأ عندما تكون هناك أزمات في العلوم، و هو بهذا يشدد على التكامل بين العلمين، الإبستومولوجي لا يمكن أن يستغني في دراسته النقدية عن دراسة مناهج العلم، لأن دراسة المناهج العلمية مهمة في بيان مراحل عملية الكشف العلمي التي تعتبر من المجالات الأساسية للدراسات الإبستومولوجية.

إذن فالعلاقة بين الإبستومولوجيا و علم المناهج تتمثل في أن علم المناهج يقدم الدراسة الوصفية المستخدمة في تحليل المعارف العلمية، ثم تتعدى الإبستومولوجيا بذلك إلى الدراسة النقدية الرامية إلى استخلاص المبادئ التي ينطوي عليها التفكير العلمي.

كخلاصة يمكن القول أنه من الصعب الفصل فصلاً تاماً بين علم المناهج و الإبستومولوجيا، لا أنه من الصعب على الإبستومولوجي أن يدرس مبادئ و قوانين أي علم من العلوم دراسة نقدية دون أن يتساءل حول طبيعة و قيمة الوسائل التي يستخدمها و في مقدمتها المناهج، للوصل إلى النتائج.

**- طبيعة البحث الإبستومولوجي و حدوده:**

تحدثنا عن علاقة الإبستومولوجيا بالدراسات المعرفية الأخرى، و تبين لنا من خلال ذالك مدى الاختلاف السائد في هذا الميدان بين المهتمين بهذا النوع من الدراسات و الأبحاث، و هو اختلاف يرجع بالأساس إلى اختلاف المنطلقات و المفاهيم و النظريات التي يتبناها الباحث أو ذاك، مما يضفي على الأبحاث الإبستومولوجية المعاصرة الطابع الأيديولوجي الواضح.

أما بخصوص طبيعة البحث الإبستومولوجي، هل ينتمي إلى عالم العلم أو إلى الفلسفة، فهناك من يقطع كل علاقة بين الإبستومولوجيا و الفلسفة، استنادا إلى أن المعرفة هي وحدها المعرفة الحقيقية، و أن استقلال العلوم عن الفلسفة استقلالاً تاماً ومنذ عهد طويل، أصبح يستلزم حذف مصطلح فلسفة العلوم من القاموس الإبستومولوجي حتى لا يختلط الأمر بفلسفات العلوم القديمة ( فلسفة التاريخ، فلسفة الطبيعة، فلسفة الحياة ...الخ) هذه الفلسفات التي كانت تسطو على بعض النتائج العلمية و ترتكز عليها في تشديد منظومات فلسفية.

إن الإبستومولوجيا في نظر هؤلاء لا يمكن أن تصبح علماً جديراً بهذا الاسم إلاَّ إذا تحررت نهائياً من جذورها الفلسفية، و التزمت الموضوعية التامة، و ارتكزت على المناهج العلمية، الشيء الذي يمكنها من الاندماج في العلم و التحلي بخصائصه و مميزاته، هذا الاتجاه يسمى بالاتجاه الوضعي، و الذي يقصر مجال البحث الإبستومولوجي في لغة العلم، إن موضوع العلم في نظرها هو أشياء الطبيعة، أما موضوع الإبستومولوجيا فهو الخطاب العلمي القائم على المنهج التجريبي.

أما بخصوص حدود البحث الإبستومولوجي في إطار النزعة الوضعية ذاتها، فيمكن التمييز بين اتجاه ضيق مغلق، و اتجاه مرن متفتح، بين دعاة الإبستومولوجيا الخاصة أو الداخلية و بين أنصار الإبستومولوجيا العامة.

إن أصحاب الاتجاه الأول ينطلقون في الغالب من كون القضايا و المشاكل التي تخص علماً من العلوم/ قد لا تخص بالضرورة علماً آخراً، فمشاكل الرياضيات ليست مشاكل الفيزياء و مشاكل البيولوجيا ليست هي مشاكل العلوم الإنسانية، إن محاولة الجمع بين قضايا العلوم المختلفة في إطار أو نسق إبستومولوجي واحد عمل فلسفي لا يستفيد منه العلم، لذالك يحرصون على أن يحتفظوا للإبستومولوجيا بطابعها العلمي، فكأن الإبستومولوجيا في نظرهم لا تختلف عن علم المناهج إلاَّ بقدر ما يكون التحليل أكثر عمقاً و النقد أكثر صرامة.

أما أنصار الإبستومولوجيا العامة فهم يرون أن هذه النزعة العلمية الضيقة لا بد أن تصطدم بمشاكل تفرض عليها توسيع دائرتها، فالمشاكل التي تعترض علماً من العلوم كثيراً ما تكون نفسها التي تعترض علماً آخراً، هذا فضلاً على أن العلوم نفسها متداخلة و متشابكة، تقوم بينهما علاقة لا يمكن تجاهلها فالعلوم الإنسانية فصل بعضها عن بعضها فصلاً نهائياً لا يساعد على تقدم المعرفة البشرية في الميدان الإنساني هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن معالجة القضايا و المشاكل الإبستومولوجية الخاصة بكل علم لن تكون مثمرة إلاَّ إذا تم تحليلها و النظر إليها من عدّة زوايا.

و إلى جانب هذا الاختلاف حول حدود البحث الإبستومولوجي من حيث الاتساع و الضيق، هناك اختلاف آخر بين الباحثين الإبستومولوجيين حول نوعية التحليل، أي اختلاف حول المنهج، بين من يقول أن دراسة العلوم كما هي في مرحلة ما من مراحل تطورها دون الرجوع إلى تاريخها و تطورها، و بين من يقول أن دراسة العلوم و تناولها لا بد أن يكون من خلال سياقها التاريخي التطوري، و هكذا نكون أمام نوعين من الدراسات أو منهجين: منهج التحليل المباشر، و منهج التحليل التكويني.

إن منهج التحليل المباشر هو المفضل عند أصحاب المدرسة الوضعية، التي تتناول دراسة العلوم دون الرجوع إلى ماضيها أو مراحل تطورها، بل يقتصر على تحليلها و مناقشتها و نقدها كما كانت في عصره، و إذا كان المنهج التحليل المباشر قد لقي رواجاً كبيراً عند علماء النزعة الوضعية، فإن المنهج الثاني المنهج التاريخي التطوري التكويني له أهمية عند ذوي النزعة الفلسفية منهم.

و الواقع أن الدراسة النقدية للعلوم تحتاج لكي تكون دقيقة و شاملة إلى الرجوع إلى ماضي العلم ذاته، و أحياناً كمقارنة بين الأسس و المفاهيم القديمة و الجديدة، إن المعرفة سواء كانت علمية أو فلسفية هي ذات طبيعة تاريخية دوماً، و الإبستومولوجيا التي تريد أن تكون نظرية علمية في المعرفة لا بد لها من تاريخ العلم، لا تدرسه لذاته كما بفعل المؤرخ، بل من أجل الاسترشاد و الاستفادة منه في فهم المشاكل المطروحة في الحاضر.

من خلال ما سبق ذكره أن الدراسة تطور العلم يختلف باختلاف معيار الدراسة، فإذا نظرنا من زاوية نقدية أي من حيث المبادئ و المناهج و الأدوات و النتائج، فهو بناء خاص لا يشترك مع المعارف السابقة في شيء، أما إذا نظرنا إليه من زاوية وصفية تاريخية فهو امتداد للمعرفة العامية.

## المحور الثاني: الإشكاليات و العوائق الإبستومولوجية للعملية البحثية في العلوم السياسية.

1- **مفهوم العائق الإبستومولوجي:لغة:** هو كل ما يعطل أو يؤخر الحركة أو فعل ما. أما **اصطلاحاً:** العوائق الإبستومولوجية هي تلك العقبات الإيديولوجية و العقلية و المعرفية التي تحول دون تطور العلم و كذا التفكير العلمي.

و عرفه غاستون باشلار (( هي عوائق نفسية داخلية نجدها عند العلماء الباحثين، و تلعب تقريباً نفس الأدوار المعيقة لتطور العلم و بناء معارف جديدة)).

و برز مفهوم القطيعة الإبستومولوجية و العائق من خلال الدراسة التاريخية للمفاهيم العلمية، أي أن نمو الفكر العلمي ينتج عن صيرورة لا خطية، أي تطبعه عدّة منعرجات/ تتخللها عوائق و قطائع، و بهذا فإن ظهور نظرية معينة لا يتم إلاّ عن طريق تجاوز هذه العوائق.

**2- أهم الإشكاليات و العوائق الإبستومولوجية للعملية البحثية في العلوم السياسية:**

**الإيديولوجية:** تعرف على أنها مجموعة من المعتقدات و الاتجاهات و الآراء التي تتشكل مجتمعة، كما تشير إلى الأفكار و المعتقدات التي يستخدمها المفكر، إن كلمة فكر إذا اقترنت بوصف ( الفكر الغربي) فهو جملة الآراء و الأفكار التي يعبر من خلالها ذالك الشعب عن اهتماماته و أخلاقه و معتقداته المذهبية، و طموحاته السياسية و الاجتماعية،أو بمعنى آخر أن الفكر بهذا المعنى هو الإيديولوجية، أي أن هناك تداخلاً بين الفكر و الإيديولوجية باعتبار أن الفكر بوصفه أداة لإنتاج الأفكار و الإيديولوجية باعتبارها مجموع تلك الأفكار. فالفكر و الإيديولوجية هما العقل الفاعل و العقل السائد، فمن جهة ليس العقل السائد' الإيديولوجية" شيئاً سوى تلك المبادئ و القواعد التي أنشئها العقل الفاعل و هو الفكر.

الحديث عن هذا العائق يدفعنا إلى الحديث عن إشكالية التحيّز التي تعد من أهم الإشكاليات الإبستومولوجية التي تواجه عملية البحث في علم السياسة، و قد ناقش العديد من المفكرين هذه الإشكالية و أطلق على تسميته بالمنظور، و يعرف المنظور على أنه مجموعة من المفاهيم التي يستخدمها الإنسان للاختيار بين مجموعة بدائل في موضوع ما، و بذالك فإن المنظور يسمح لنا باختيار مدركاتنا و تنظيمها و توجيه أفعالنا، فالمنظور يعني القيم و المعتقدات و الاتجاهات التي تتوفر في الإطار الفكري،أو في وجهة نظر الفرد إلى موقف معين، و يتكون من مجموعة مبادئ تؤثر في ما يدركه الشخص في تفسيره للظواهر محل الدراسة.

و عليه فإن المنظور يعكس تأثير القيم و التصورات للباحث على موضوع البحث، و المدخل الذي يختاره و النظرية التي يتبناها، كل ذالك يعكس دور البعد التأملي و دور الثقافة و الهوية على الباحث، و يرى كارل مانهايم بأن المنظور هو الطريقة التي يرى بها الشخص موضوعاً من الموضوعات، فالمنظور هو مجموعة العوامل المسؤولة عن اختلاف شخصين في الحكم على موضوع واحد، إذن فالمنظورية تتلخص في أن كل معرفة هي نسبية للموضوع العارف و حاجاته، و تظهر وجهة نظر الباحث من خلال المنظور الذي يرى منه العلاقات الدولية، و من ذالك المنطلق يقول روبرت كوكس (( النظرية دائماً لبعض الأشخاص و لبعض الأغراض))، و في رأيه كل نظرية تمتلك منظوراً خاصاً، و المنظور ينبثق من الوضع المحدد بالزمان و المكان، و بالتحديد الزمان و المكان الاجتماعي و السياسي و رؤية العالم يتم من مواقع مختلفة، لذالك النظرية تمثل نفسها فقط، و يجب التعامل معها بطريقة نقدية.

**عائق المنهج:** المنهج هو الطريقة التي يعتمدها الباحث للوصول إلى هدفه المنشود، ووظيفته في العلوم الاجتماعية هي اكتشاف المبادئ التي تنظم الظواهر الاجتماعية و السياسية، و قد شهد المنهج خاصة في القرن السابع عشر تغيرات هامة في طريقة التفكير، من التفكير الفلسفي إلى التفكير العلمي القائم على الشك، عبر تطوير المناهج من المناهج الفلسفية إلى المناهج العقلية ثم المناهج الحسية، فالمعرفة تبدأ بالتجربة الحسية التي تعمل على إثرائها بالملاحظات الدقيقة و التجارب العلمية ثم يأتي دور استخراج النتائج وفق شرطين:

1- ذاتي: يتمثل في تطهير العقل من كل الأحكام السابقة و الأخطاء.

2-موضوعي: و يتمثل في رد العلوم إلى التجربة، و هذا يتطلب معرفة المنهج القويم للبحث.

فقد شكل المنهج تلك الإجراءات الذهنية التي تدور بين طرفي عملية المعرفة، و يمكن القول أن هناك منهجان رئيسيان لعملية المعرفة و هما:

**المنهج الفلسفي الاستنباطي:** و يتمثل في مجموعة من العمليات الذهنية التي تدور في العقل، و بعيدا عن الواقع. و هذا المنهج تنقصه الموضوعية التي هي ركن أساسي للعلم، و هي التي تعتمد بالأساس على المناهج الكيفية.

**المنهج الاختباري الاستقرائي:** و هو منهج ستقرئ الواقع من خلال الملاحظة، و هي تلك الدراسات التي انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الدراسات الاجتماعية، خاصة مع ظهور المدرسة السلوكية، و سميت بالدراسات الأمبريقية أو الإختبارية أو الدراسات الميدانية، و التي اعتمدت بالأساس

على المناهج الكمية، التي تعتمد على التكميم أي لغة الرمز و الرقم على غرار المنهج الرياضي و الإحصائي و المسح الاجتماعي).

انطلاقاً مما سبق فإن الاعتماد في المعرفة العلمية على المنهج الاستنباطي الفلسفي وحده معناه إدارة هذه العملية في داخل عقل الباحث بعيداً عن الواقع، و أن الاعتماد في عملية المعرفة على المنهج الاستقرائي الاختباري وحده يقف دون البلوغ بنتائج الاختبار إلى مستوى التعميم، و عليه فإن المنهج العلمي التجريبي بالنسبة للعلوم السياسية هو الذي يجمع في منهجه بين الاستقراء و الاختبار و بين الاستنباط الذي يعتمد على التدليل العقلي، فالمعرفة تعتمد على الجمع بين الحس و العقل، أي بين الإختبارية و التدليل العقلي، و هو منهج النظرية السياسية العلمية في عصرنا، فالنظري يبدأ بملاحظة بعض الحالات في الواقع السياسي المستهدف، ليصور بهذه الملاحظة فرضاً أولياً، ثم يعرض هذا الفرض على واقع علم السياسية للتحقق من مدي مطابقته له، و ذلك عن طريق إعادة عرضه على أكبر عدد مستطاع من حالات نوعه، و هنا نقول أن صحته قد ثبتت بالتجربة، ثم يتجه النظري بهذه النتيجة المستقرات من تلك الحالات المحدودة إلى تعميمها عن طريق عمليات التدليل العقلي للبحث الاستنباط منتهياً بها إلى بناء نظري عام و هو النظرية السياسية.

- هناك نقطة أخرى تتعلق بالمنهج و هو قدرة الباحث في علم السياسة على الفصل بين الباحث من جهة و موضوع بحثه، و هذا ما نطلق عليه بالموضوعية، و هي جوهر البحث العلمي، الذي ينطلق من الملاحظة بما لا يدع مجالاُ لوجهات نظر الباحثين الذاتية في شأن و حقيقة هذا الواقع، و من ثم فإن الأحكام التي ينتهي إليها الباحث بالمنهج العلمي التجريبي هي أحكام موضوعية أو واقعية في مواجهة الأحكام الذاتية.

- إشكالية التعقيد و التعميم، إن إشكالية التعميم الذي ينتمي إليه أصحاب المنهج العلمي التجريبي هو تعميم نسبي، في مواجهة التعميم المطلق الذي ينتمي إليه أصحاب المنهج المثالي، ذالك راجع إلى إشكالية التعقيد و التركيب و الحركية في علم السياسية، ذالك أن الواقع السياسي متغير زماناً و مكاناً و طبقاً لطبيعة علم السياسة المتغيرة، و هذا ما نسميه بنسبية الحقائق العلمية في علم السياسة.

**عائق الموضوع:** يمكن حصر هذا العنصر في إشكاليتين محوريتين هما:

- تتعلق بموضوع علم السياسة و تداخلاته مواضيعه مع العلوم الاجتماعية الأخرى.
- تتعلق بمسار الذي تسلكه المعرفة العلمية في علم السياسة أي بين التراكمية و القطيعة.

**بالنسبة للإشكالية الأولى** المتعلقة بموضوع علم السياسة يمكن أن نميز بين اتجاهين، اتجاه ضيق مغلق و اتجاه مرن منفتح، فأصحاب الاتجاه الضيق المغلق ينطلقون من أن قضايا و مشاكل التي تحصل داخل علم من العلوم قد لا تخص علماً آخر، و بالتالي لكل علم من العلوم الاجتماعية موضوعه الخاص، بالإضافة إلى الاختلاف في النظر إلى جوهر المواضيع، و هنا تبرز إشكالية العقلانية، فخصوصية المواضيع في العلوم السياسية و تعقدها ة حركيتها يجعل من مواضيعها ذات خصوصية في فهمها و تحليلها عن بقية العلوم الأخرى، و حتى داخل حقل علم السياسة هناك تباين في فهم و دراسة الظواهر، أما الاتجاه المرن المنفتح، ينطلق هذا التصور من أن فصل العلوم الاجتماعية بعضها عن بعض لا يساعد على تقدم المعرفة، فالمشاكل التي تعترض علماً من العلوم كثيراً ما تكون هي نفسها التي تعترض علماً آخراً، فالعلوم حسب هذا الاتجاه خاصة في العلوم الاجتماعية متداخلة و متشابكة، و و حتى أن هناك معارف و علوم مشتركة من جهة و من جهة أخرى لا يمكن تكوين صورة كاملة عن القضايا إلاّ من خلال النظر إليها من عدّة زوايا.

**أما الإشكالية الثانية،** تتعلق بالمسار الذي يسلكه المعرفة العلمية في علم السياسة من خلال مبدأي التراكمية المعرفية في حقل العلوم السياسة و بين القطيعة، و من هنا انقسم الإبستومولوجيين في النظر إلى هذه المشكلة إلى فريقين، فريق نظر إلى مسار العلم و منه إلى علم السياسة على أنه صيرورة مستمرة لا انقطاع فيها و لا انفصال، و فريق يقول بانفصال و قطيعة بين المعرفة الجديدة و التي سبقتها.

**أنصار الاتصال:** لا يرون أن مسار العلم انقطاع و أزمات و ثورات، و يقولون باستمرار و تطور المعرفة من المعرفة العادية إلى المعرفة العلمية إلى المعرفة العلمية الجديدة، فتاريخ العلم سلسلة، و ما التغيير الذي يحدث في العلم إلاّ تغيير تدريجي، فالمعرفة البشرية مرت بثلاثة مراحل متصلة لاهوتية، ميتافيزيقية، و علمية، كما يرى أنصار هذا الاتجاه أن المعرفة العلمية لم تنشأ من العدم بل هي حصيلة تطور معارف عامية و خبرات شخصيه ذاتية ( الاتجاه التجديدي في العلاقات الدولية).

**أنصار الانفصال:** يؤكدون على الانفصال المطلق بين المعرفتين و الذي يفصل بين هذين النمطين من المعرفة، و هو القطيعة الإبستومولوجية، فالمعرفة العلمية ليست امتداد للمعرفة العامية، و لغة العلم و منهاجه معياران أساسيان في حدوث القطيعة الإبستومولوجية، فلغة العلم متجددة دائما إلى حد تصبح لغة العلم الجديدة مختلفة عن لغة العلم القديم ( الاتجاه الإنشائي في العلاقات الدولية).

من خلال ما سبق ذكره أن دراسة تطور العلم يختلف باختلاف معيار الدراسة، فإذا نظرنا إليه من زاوية وصفية تاريخية فهو امتداد للمعرفة العامية، أما إذا نظرنا من زاوية نقدية أي من حيث المبادئ و المناهج و الأدوات و النتائج، فهو بناء خاص لا يشترك مع المعارف السابقة في شيء.

## المحور الثالث: إسهامات فلاسفة العلم

بالرغم من أن الاهتمام ببحث موضوع المعرفة عامة و المعرفة العلمية خاصة، ليس بالبحث الجديد، فغنما الجديد هو نبيان وجهات النظر و تعدد مناهج البحث، و قد احتلت مشكلة تطور العلم في التاريخ مكان الصدارة مطلع القرن العشرين، و برزت أسماء لعلماء و تعددت مدارس الفكر و مؤرخو العلم، و عليه فسنتناول ثلاثة من أبرز فلاسفة العلم.

### 1- كارل بوبر من التحقيق إلى التكذيب.

يختلف مدخل كارل بوبر في معالجة نظرية العلم عن المداخل الأخرى، التي يتخذها الفلاسفة و فلاسفة العلم، لأنه بنظر إلى المعرفة الإنسانية على أنها مكونة من الفروض و النظريات التي هي نتاج الأنشطة العقلية، على العكس بعض الفلاسفة اللذين سبقوه الذين كانو يرون أن المعرفة الإنسانية بوصفها حقائق ثابتة مؤسسة.

و قد اهتم بوبر بمشكلة نمو المعرفة و كيفية تقدمها، فطريقة نمو المعرفة و العلم هي التي تجعل العالم يميز بين النظريات التي لديه و تختار أفضلها، و النمو عند بوبر لا يعني مزيداً من الملاحظات و التجارب، بل يتمثل في التكذيب المتكرر للنظريات و إحلال نظريات أكثر إقناعاً مكانها.

سوف يقتصر تحليلنا لفلسفة بوبر على نقاط معينة من شأنها أنا تفيدنا في ما سيأتي.

**المعرفة الموضوعية:** يميز بوبر بين معيين للمعرفة، الأول و هو المعنى الذاتي الذي يتكون من الشعور أو النزوع إلى تصرف معين، المعرفة هنا هي اعتقادات الذات و ما تراه و ما تقرره، و المعرفة بهذا المعنى هي اختصاص علم النفس. و الثاني هو المعنى الموضوعي، الذي يتكون من الأفكار العلمية و الفلسفية و مخزون الكتب، أي كل النظريات. و يقول كارل بوبر في كتابه " المعرفة الموضوعية " المعرفة بالمعنى الموضوعي هي معرفة بدون عارف، إذن يكون العلم موضوعياً عند بوبر عندما لا ترد نظرياته إلى محتوى الشعور الفردي، و يقطع كل صلة بين الذات، أي إن القابلية للنقد التي تميز المعرفة الموضوعية عن المعرفة الذاتية.

**القابلية للتكذيب:** حاول كارل بوبر أن يتفادى الصعوبات التي واجهت مبدأ التحقيق التجريبي كما قدمه الوضعيون، باستبداله بمبدأ التكذيب كمعيار لقياس صدق القضايا، و مفاده إذا لم نتمكن من تأكيد القضايا الكلية فلا أقل من محاولة تكذيبها و هذا أسهل، و ما دام هدف العلم يتمثل في اكتشاف القضايا الكلية الصادقة، و هذا الأمر لا يمكن الوصول إليه عن طريق الاستقراء، لأننا نتوصل إليه عن طريق التكذيب، لأنه حسبه القضايا العلمية ليست نهائية لا توجد قضايا نهائية في العلم، فأي نظرية يمكن أن تنتج لا بد أن تحمل في بذورها مبدأ الشك.

**النظرية العلمية:** النظرية عنده لا تكون علمية إلاّ إذا كانت قابلة للقيام باختبار لتفنيدها، و يرى بوبر بأن العقلانية في العلم و موضوعه تتمركز قي أن نظرياته قابلة للتكذيب، و عليه فإن أي نظرية علمية تضل صحيحة إلى أن يتم تكذيبها، أي أن النظرية تكون مقبولة علمياً في لحظة ما إذا تحقق شرطين: الأول أنها قابلة للتكذيب و التفنيد، و الثاني أن القول أن النظرية العلمية يتم إتباعها بالتجربة على حسب الوضعيون – الاستقراء– أمر غير مقبول باعتبار أن التجربة لا تعطينا سوى حالات مفردة، تبقى مهما تعددت و كثرت دون المستوى الكلي، أي أن بوبر يركز على معيار القابلية للتكذيب أو ما يطلق عليه معيار الاختبار، و يقول أن ما يميز المنهج التجريبي هو طريقته في تعريضه للتكذيب بكل الطرق ، يمكن أن نستخلص من نظرية بوبر الخطوات التالية للمنهج العلمي: المشكلة و هي عادة تفنيد لنظرية موجودة، الحل المقترح و هو النظرية الجديدة، استنتاج القضايا القابلة للاختبار من النظرية الجديدة، الاختبار عم طريق التكذيب و التفنيد بواسطة الملاحظة.

**2– إيمري لاكا توش و برنامج البحث العلمي**

يصف إيمري لاكا توش نظرية بوبر بأنها نظرية ساذجة و غير صحيحة، لكن من الممكن تعديلها و تصحيحها لتصبح مقبولة و صحيحة، و ذالك بتحويل النظر و الاعتبار من القضايا العلمية المفردة إلى قضايا النسق ككل، و اعتبار النسق العلمي ككل هو مجال الاختبار لا القضايا الجزئية المنهجية، و عليه يرى بأن الوحدة الأساسية في العلم ليست هي القضية و إنما هو البرنامج البحثي.

و يعقب لاكا توش على مقولة الفيلسوف الألماني كانط (( إن فلسفة العلم من دون تاريخ العلم خواء و تاريخ العلم من دون فلسفة العلم عماء)) بأن فلسفة العلم هي تاريخ داخلي للعلم و أن تاريخ العلم هو مشروع خارجي تجريبي إمبريقي.

طموح لاكا توش لبلوغ قواعد عقلانية تغطي كافة التطورات للعلم بما فيها التطورات الأساسية أسفرت عن منهجية برامج البحث العلمي ، لكن ما المقصود ببرنامج البحث العلمي؟

طور لاكا توش هذا المفهوم كأداة للتقييم المقارن للنظريات العلمية، و عليه جعلت النظريات على شكل برامج بحثية، و باختصار البرامج البحثية هي مجموعة من القواعد المنهجية ترشدنا أي طرق للبحث يجب تجنبها و أي الطرق يجب إتباعها، و يرى أنه هناك عدد من القضايا الأساسية و التي تشكل النواة الصلبة للمعتقدات و في سياق البرامج البحثية عادة لا يتم تحديد هذه القضايا، و عندما يتم تفنيد واضح لقضية أساسية يأتي رد الفعل من خلال الاستنجاد بمجموعة وقائية من الفروض المساعدة و الحزام الدفاعي للنواة الصلبة للمحافظة على القضية الأساسية، و عليه فّإن رد فعل العلماء في تطوير البرنامج البحثي موجهاً بالأساس إلى حفظ النواة الصلبة، من خلال بناء الفرضيات المساعدة التي بدورها تحاول أن تفسر المسائل الشاذة الجديدة، النواة اللينة، لذا فإن البرامج البحثية يمكن أن تخترع فرضيات مساعدة.

التجربة عند لاكا توش هي تقييم أي برنامج بحثي من خلال التحقق فيما إذا كانت هذه الفرضيات المساعدة النواة الصلبة، تؤدي إلى تفسير المسائل الشاذة الجديدة، و كشف حقائق جديدة، و بالتالي يصف ذالك البرنامج البحثي بالتقدمي، فالبرنامج التقدمي يظهر النمو المستمر للمعرفة و فرضياتها المساعدة، و تزيد من قدرتنا على فهم الواقع، أما إذا فشلت الفروض المساعدة في احتواء المسألة الشاذة و الجديدة و المضاد للبرنامج الأصلي، فإن البرنامج يعتبر برنامجاً جامداً وصل إلى طريق مسدود، فلا هو قادر على تفسير المسائل الشاذة الجديدة و لا هو قادر على التنبؤ بمسائل جديدة أو تطورات قادمة.

يرى لاكا توش بأمه لا توجد نظرية دائمة الصدق، بل إن بعض النظريات أقل خطأً من غيرها، و على الرغم من فشل برنامج معين فإن من المفترض أن لا يختفي هذا البرنامج البحثي، و أن يتخلى عنه حتى يأتي برنامج آخر أكثر قدرة على المقاومة من البرنامج القديم.

**3- توماس كوهن و النموذج المعرفي**

استعمل توماس كوهن في أوائل الستينات مصطلح النموذج المعرفي أو البراد يم، حيث كان كوهن فيزيائياً ثم أصبح أستاذ لتاريخ العلم، و نشر عدة كتب منها كتاب الثورة الكوبرنيكية، و كتاب تطور الفكر الغربي، و أشهرها على الإطلاق بنية الثورات العلمية، و لتوضيح معنى النموذج المعرفي عند كوهن لابد من تناول إسهامات كوهن بالدراسة و التحليل في مجال فلسفة و تاريخ العلم، و رأيه حول النظريات العلمية في نقاط:

النموذج المعرفي: و هو لب نظرية كوهن و اختصره في دلالتين: الأولى اجتماعية ثقافية، و الثانية فلسفية، و النموذج المعرفي عند كوهن يرمز إلى: ((مجموعة متآلفة و منسجمة من المعتقدات و القيم و النظريات و القوانين و الأدوات يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين، و يمثل تقليداً بحثياً كبيراً أو

طريقة في التفكير و الممارسة و مرشدا يقود الباحثين في حقل معرفي معين)).و يقول أيضاً: (( إن النموذج المعرفي لدينا يحتضن جميع الالتزامات المشتركة لجماعة علمية)).

**العلم القياس أو المعتاد:** هذه العبارة عند توماس كوهن تعني البحث الذي رسخ بنيانه على إنجازات الماضي العلمية، و هي إنجازات يعترف بها المجتمع العلمي محدد لفترة زمنية محدودة، فالعلم القياس لا يهدف إلى الكشف عن إبداعات جديدة، بل يكتفي بملائمة النظرية للواقع ( التراكمية ) محاولة تكييف الأفكار و الدفاع عنها.

**الجماعة العلمية:** ركز كوهن على الطبيعة الجماعية للنشاط العلمي مؤكداً أن العالم الفرد لا يمكن اعتباره ذاتاً كافية للنشاط العلمي، و لكي يفسر مصطلح النموذج المعرفي بنجاح يجب أن يعترف بالمجموعات العلمية بوصفها مالكة لوجود مستقل، و أي مجتمع علمي يتألف من ممارسين لتخصص علمي محدد، لابد أن يمرون بمراحل من التعليم و التنشئة المهنية، و لكل مجتمع علمي مادة دراسية خاصة به، و نتيجة لذالك يرى أعضاء أي مجتمع علمي أنفسهم على أنهم مسئولين على متابعة مجموعة الأهداف المشتركة بينهم، بما في ذالك تدريب من سيخلفهم، و الاتصال الفكري بين هذه الجماعات يكون تاماً و كاملاً و نسبياً، كما تكون أحكامهم بشأن أي مشروع أحكاماً جماعية نسبياً.

**أزمة النماذج المعرفية و انبثاق نماذج علمية جديدة:** خلال تطور أي علم يسود شعور بأن نموذج معرفي يعترف الباحثون بصحته يفسر بنجاح غالبية المشاهدات و التجارب بسهولة، و النماذج المعرفية تكتسب مكانتها من قدرتها على حل المشكلات، و لكن لا يوجد نموذج واحد يستطيع أن يفسر كل المعلومات و العوامل، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور الأزمات العلمية و هي شرط لانبثاق نظريات جديدة، و تنتهي الأزمات إما بأن يثبت العلم القياس قدرته على معالجة المشكلات التي أثارتها الأزمة أو تستعص المشكلة على المعالجة فتطرح جانباً للمستقبل أو تنتهي بانبثاق نموذج معفي بديل، لكن هذا الانتقال مسألة أبعد ما تكون عن وصفها بأنها تراكمية، بل إنها إعادة بناء فوق قواعد أساسية جديدة من شأنها أن تغير بعض القواعد النظرية الأساسية و تجدد الكثير من المناهج و تطبيقات البحث.

**الثورات العلمية:**و هي سلسلة الأحداث التطورية غير التراكمية التي يبدل فيها نموذج معرفي قديم كلياً أو جزئياً بنموذج معرفي جديد، و طبقاً لرأي توماس كون فإن النموذج المعرفي يلعب دوراً حاسماً و حيوياً، فالمرحلة الأولى لمعظم العلوم، أي مرحلة ما قبل النموذج المعرفي، كما يطلق عليه كوهن تتصف بأنها فوضى عامة من المفاهيم و الرؤى المختلفة و المتنافسة، لا يمكن وصف أي منها بأنه صحيح طالما أنها جميعاً تحقق توافقاً مع المنهج العلمي السائد في ذالك الوقت، و عندما تتحقق سيادة أي من هذه

الرؤى تتحول إلى نموذج معرفي الذي تتبناه أغلبية أعضاء المجتمع العلمي الأكاديمي، و يضل هذا العلم في حالة نمو و تطور و حيوية ما دام قادراً على حّل مشكلاته، و عندما يفشل النموذج المعرفي في تقديم أو التعاطي مع المشكلات بصورة فعالة، و تضعف القناعة به، بظهر النموذج المعرفي الجديد الذي يقوم بداية بهدم القديم و التشكيك فيه و في أسسه، و عندما يتم التحول إلى النموذج الجديد فإن النظريات القديمة لا ينظر إليها على أنها كانت خاطئة طالما طبقت على تلك الظواهر التي تعاملت معها و فسرتها بدقة، و قبول النموذج المعرفي الجديد نادراً ما يكون سهلاً، لأنه يعتمد على عوامل مختلفة عاطفية و سياسية و علمية و إدارية، و ربما يستغرق أكثر من جيل واحد قبل أن يتأسس في المجتمع العلمي.

## المحور الرابع:تطور علم السياسة.

إذا تتبعنا تاريخ تطور علم السياسية، نقول أن جل مراحل تطور علم السياسة كانت محل خلاف بين منهجين، و هو منهج التحليل المباشر و الذي أكد عليه توماس كوهن في كتابه "بنية الثورات العلمية"، و هي دراسة العلوم دون الرجوع إلى ماضيها أو مراحل تطورها، بل يقتصر على تحليلها و مناقشتها و نقدها كما كانت في عصره، و منهج التحليل التكوينية الذي يؤكد على أن دراسة العلوم حتى تكون دقيقة و شاملة لابد من الرجوع إلى ماضي العلم، ومقارنة بين الأسس و المفاهيم القديمة و الجديدة، فالفرق بين الثورات العلمية الكوهنية و البرامج البحثية اللاكاتوشية يعتبر معياراً لتحديد عدد الثورات المعرفية، فصياغة برنامج بحثي جديد كالوظيفية البنيوية، أو الواقعية الجديدة أو اللبرالية الجديدة لا يؤهلها كثورات بمعنى تحول في النموذج المعرفي الإرشادي البراد يم، و على ضوء هذا المعيار فإن خمسة اتجاهات فكرية نجحت في إحداث القطيعة.

و إذا تتبعنا تاريخ تطور علم السياسية نقول أن الطابع الفلسفي قد طغى بشكل كبير على دراسة السياسة من العصور القديمة و الوسطى و الحديثة، حيث كان ينظر للسياسة طوال تلك الفترة على أنها حقل معياري و أخلاقي، و بالتالي كانت في كثير من الأوقات فرعاً للفلسفة الأخلاقية،و كما هو الحال في الفكر ما قبل الحديث الذي لم يعر السياسة اهتماماً بالمسائل الأمبريقية، حيث أنصبت معظم اهتمامات المفكرين السياسيين على ما ينبغي أن يكون بدل ما هو كائن،لكن مع ذلك هناك من شذّ على هذا الاتجاه على غرار أرسطو و ابن خلدون و مكيافيلي، اللذين اشتهروا بدراساتهم الدقيقة للعملية السياسية الواقعية، إلاّ أن علم السياسة لم يتسع خارج حدود الإطار الفلسفي إلاّ منذ وقت قريب، كان هذا إلى غاية حدوث

القطيعة الإبستومولوجية و ظهور علم السياسية كعلم مستقل عن العلوم الإنسانية و الاجتماعية الأخرى، و التي حاول بعدها الكثير من علماء السياسة تغيير طبيعة علم السياسة و صياغة أجندة جديدة على أنقاض المنجزات السابقة، و عليه شهد حقل العلوم السياسية عدة حركات و اتجاهات فكرية،ساهمت في إثراء و تطوير هذا الحقل المعرفي.

**1- المدرسة الفكرية القانونية المؤسساتية التاريخية:** ظهرت من خلال تركيز البحوث و الدراسات في حقل العلوم السياسية على دراسة الدول من خلال قوانينها و مؤسساتها و أطرها الدستورية و بناءاتها الرسمية و الاهتمام بتطورها المؤسساتي، و فهم التجارب التاريخية لكل دولة.

إن دراسة علم السياسة و تطوره خلال هذه المرحلة لا يمكن فصله عن تطور النظام السياسي الأمريكي و الذي هيمن عليه الطابع الدولاتي مع نهاية القرن التاسع عشر، و قد ساهم في اكتساب الدولة وزن، العديد من الأكاديميين الذين تحولوا إلى رموز لعلم السياسة الناشئ، و البداية كانت ما اصطلح على تسميته بالنقاشات الدستورية بين الفدراليين من خلال صياغة أول دستور فيدرالي للولايات المتحدة الأمريكية، و هكذا بدأ يتمحور الخطاب العلمي لهذا الحقل المعرفي على الدولة، حيث كانت المهمة الرئيسية لعلم السياسة إرساء دولة قومية موحدة، و قد صاحب ذلك دراسات امبريقية عدة دأبت على تحليل المؤسسات الأمريكية.

إن مهمة علم السياسة طيلة هذه الفترة كانت السعي من أجل إقامة دولة قومية موحدة، و ليس تقديم إطار تحليلي لدراسة الظاهرة السياسية، و تجسيد أجندة سياسية أيضاً، و هي الميزة التي اتسمت بها كل الحركات العلمية في علم السياسة، فكان الهدف من هذا الاتجاه الفكري الذي أسس علم السياسة ليس تغيير واقع الحال في هذا الحقل المعرفي بقدر ما كان إرساء دعائمه في المقام الأول.

**2- المدرسة التعددية:** كانت بداية لظهور النزعة التعددية من خلال ظهور محللين سياسيون هواة ( غير منضبطين منهجيا و غير مؤطرين أكاديميا)، و مشاركتهم في هذا الحقل المعرفي ليكونو ثورة معرفية، من خلال إنشاء:الجمعية الأمريكية للعلوم الاجتماعية عام 1865و الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية عام 1903و الجمعية السوسولوجية الأمريكية عام1905 ، اتسمت هذه الجمعيات بنزعتها الإصلاحية ودراسة جادة للسياسة الأمريكية، عبر طرح تساؤلات عميقة بشأن الواقع السياسي الأمريكي، فكانت الانطلاقة بالنسبة إليهم أن الولايات المتحدة الأمريكية و نظامها السياسي هو نظام تعددي ( مجتمع+ نظام سياسي) فكانت الدعوة إلى تقوية الديمقراطية، كما شهدت هذه الفترة فقدان الدولة التدريجي التحكم في أجهزتها، من خلال ظهور أحزاب قوية و متطورة، ظهور جماعات مصالح و

جماعات عابرة للدول و القوميات، و ظهور منظمات دولية، و بالتالي كانت هذه المدرسة تعارض الهندسة الاجتماعية التي كانت موجودة و القائمة على تنظيم المجتمع من القمة باتجاه القاعدة، و تغييرها بأخرى قائمة على تنظيم المجتمع في جماعات من القاعدة باتجاه القمة.

عند تصنيف صعود التعددين كثورة معرفية هو عدم تبني الباحثين لأطروحاتهم لاحقاً، كما أنّ هذه المدرسة لم تستطع إرساء تقليد بحثي يؤطر أعمال و أبحاث علماء السياسية بسبب مقاومة المدرسة الفكرية القانونية التي كانت تنبذ فكرة وجود فاعلين آخرين بخلاف الدولة، بالرغم من ذالك فقد كانت هذه التغيرات محدودة نسبيا عند مقارنتها بالتحولات الكبيرة الذي طرأت على دراسة علم السياسة خاصة في النصف الثاني من القرن 20م.

**3- المدرسة السلوكية:** جاءت كحركة احتجاجية نقدية من قبل علماء السياسية ضد إخفاق النموذج التقليدي القانوني، التي كانت اهتماماته في دراسة الجوانب الشكلية و القانونية للحكومات،فذهب التوجه السلوكي إلى التركيز على السلوك الفعلي للأفراد و الجماعات الناشطين سياسياً، بدل من التركيز فقط على تحليل القواعد الشكلية و القانونية التي يفترض أن يخضع لها أولئك الأفراد و الجماعات.

و جاءت الحرب العالمية الثانية و ما نتج عنها لتمهد الطريق لمرحلة حاسمة في تطور حقل السياسة، و أتاحت الفرصة لهيمنة الحركة السلوكية على مختلف حقول العلوم الاجتماعية، ويعود سبب ازدهار النموذج المعرفي السلوكي إلى:

1/ توفر وسائل جديدة وإمكانيات منهجية أمكن استخدامها في البحث السياسي، من تلك الوسائل الجديدة استطلاعات الرأي العام، و الدراسات المسحية، و تطور المناهج الكمية ( الإحصائي، الرياضي).

2/ الأثر الكبير للتراث الوضعي الذي يؤكد على ضرورة فصل القيم عن العلم ( الفلسفة الوضعية التي تؤمن بالمعرفة الحسية) .

3/ توفر مصادر تمويل ضخمة من قبل مؤسسات و مراكز بحث مثل: كارنيجي، روكفيلر، فورد...الخ. قصد تشجيع إجراء دراسات تجريبية في العلوم الاجتماعية، بهدف إحداث تغيير اجتماعي اتجاه الليبرالية و الرأسمالية.

و هناك اتجاهين في المدرسة السلوكية:

الأول: يركز على سلوك الفاعلين السياسيين، و دراسة النشاط السياسي بدل المؤسسات.

الثاني: هو تحويل الدراسات السياسية إلى علم قابل للتحقيق من خلال توظيف منهجية علمية قائمة على المناهج الكمية.

فقد كان الاتجاه الأول يركز على سلوك الفاعلين السياسيين، أي دراسة النشاط السياسي بدلاً من المؤسسات على الرغم من أهمتها، فهي ليست وحدها تمثل المضمون الحقيقي للسياسة، بل إن النشاط ضمن تلك المؤسسات و السلوك حولها هو ما ينبغي أن يمثل الاتجاه الرئيس لعلم السياسة.

أما الاتجاه الثاني هدف إلى تحويل الدراسات إلى علم قابل للتحقيق من خلال تشجيع طلاب علم السياسة على توظيف المنهجية العلمية، و اعتبار السلوكية مرادفاً للطريقة العلمية، و طبقاً لهذا الاتجاه أضحت السلوكية شعاراً للحركة العلمية في علم السياسة ( استخدام وسائل منهجية جديدة ).

تعود جذور الاتجاه السلوكي إلى فترات هيمن عليها المنهج التقليدي على التحليل السياسي، فكانت الجهود الفردية وفقاً لرؤية " توماس كوهن " حول النموذج المعرفي يبدأ دائما بواسطة محاولات و جهود فردية من بعض العلماء المتخصصين ثم يسود بعد ذلك، لذلك تعتبر محاولات " جراهام ولاس " في كتابه ( الطبيعة البشرية في السياسة) الذي نشره عام 1908 محاولة بارزة للتركيز على أهمية الطبيعة و السلوك البشريين، وسط سيادة الدراسات التي ترتكز على البعد المؤسسي و القانوني للسياسة، و في نفس السنة ظهر كتاب ( نشاط الحكومة) the process of government للكاتب " آرثر بنتلي " الذي يعتبر المؤلف الأم في مجال الدراسات السياسية السلوكية، فالحكومات عنده عبارة عن نشاطات و أفعال، و ليست فقط مؤسسات و هياكل،و هذه النشاطات هي مادة الدراسات العلمية، و هناك من يؤرخ لبداية التيار السلوكي إلى سنة 1913حيث نشر العالم الأمريكي " جون واطسون " مقالته ( علم النفس كما يراه السلوكي).

أما على صعيد العمل المؤسسي فقد ظهرت مدرسة شيكاغو في العشرينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد بادرت لجنة الأبحاث التابعة "الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية" و التي كان يرأسها " تشارلز ميريام " صاحب كتاب ( جوانب جديدة في السياسة) ، إلى الدعوة إلى تأسيس مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية، و قد انظم إلى تلك الدعوة ممثلون عن الجمعيات الأمريكية للاقتصاد و الاجتماع، التاريخ، علم النفس.. الخ، و تم إنشاء المجلس في 1923 و كان أول رئيس له " تشارلز ميريام " و أعتبر هذا المجلس بمثابة هيئة فوق الجامعات، تقوم بالتنسيق فيما بينها من أجل تطوير البحث العلمي، و قد كان " تشارلز ميريام " من أهم المندفعين لتحويل علم السياسة إلى التركيز على سلوك الناس، بدلاً من تحليل المؤسسات، و قد ساعده كل من زملائه في المجلس أمثال كل من " هارولد لاسويل" و " ألموند" و " هربرت سيمون ".

في الفترة السابقة للحرب العلمية الثانية قدم هارولد لاسويل في مؤلفه القوة و الشخصية power and personnalité محاولة لإضفاء نظرة سيكولوجية أيضاً في مجال الدراسات السياسية، إلى جانب تركيزه على القوة كمادة لعلم السياسة، و يعتبر لاسويل همزة الوصل بين السلوكيين المتقدمين و السلوكيين اللذين جاءو بعد الحرب العلمية الثانية.

إذن و على الرغم من أن المدرسة السلوكية قد بدأت على المستوى الفكري منذ بداية القرن، و على المستوى المؤسسي من العشرينات من القرن 20 م، إلاّ أن الحرب العالمية و آثارها مثلت نقطة تحول أساسية أتاحت الفرصة لهيمنة الحركة السلوكية، لاسيما في أعوام الخمسينات و الستينات، و من هنا تجدر الإشارة إلى أن التطور الفكري و الأكاديمي للنموذج السلوكي لم يكن مستقلاً عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الفكرية التي كانت تمر بها العلاقات الدولية في تلك الفترة، من جهة، و من جهة أخرى تطورات الأوضاع في الولايات المتحدة الأمريكية التي احتضنت الحركة السلوكية، و قد لعبت عوامل مثل انفتاحها على المجتمع الدولي بعد الحرب، و تمددها في مناطق كثيرة في العالم، و هجرة كثير من العلماء من مناطق الحرب في أوروبا، و الدعم الذي قدمته المؤسسات الرسمية و مراكز البحث الأمريكية للأبحاث السلوكية و غير ذالك.

**النموذج المعرفي السلوكي:** السلوكية هي عملية علمية منظمة من المبادئ و الافتراضات العلمية الهدف منها الوصول إلى صيغة علمية للعلوم السياسية تختلف عن الصيغة غير العلمية التقليدية، و من هنا فإن النموذج السلوكي كان حصيلة التقاء عاملين أولاهما عدم الرضا عن المناهج التقليدية و ثانيهما هو الإعجاب بالمنهج العلمي المستخدم في العلوم الطبيعية.

يمكن تعريف النموذج السلوكي بأنه ميدان دراسة ضمن علم السياسة يعنى بتلك الجوانب من السلوك الإنساني، التي تحدث ضمن إطار سياسي ما، مركز اهتمامه هو سلوك الأفراد و ليس المؤسسات أو الهيكل، و اختيار السلوك كوحدة تحليل في النموذج السلوكي يرجع إلى سببين: الأول هو أن الإنسان في رؤيتهم مركز للكون و يرغب في أن يكون سبب الأحداث التي تدور حوله، و الثاني أن الإنسان يتفاعل مع الآخرين مثله يومياً، و لهذا فإن السلوك بين الأمم لا يختلف كثيراً عن سلوكه.

و من هنا يمكن القول بأن السلوكية استبدلت الموضوع الأساس للدراسات السياسية، فبدلاً من التركيز على المؤسسات نقلت بؤرة الاهتمام إلى دراسة الأشخاص، معتبرة أن سلوكيات الأفراد و الأنشطة التي يقومون بها هي التي تفضي على المؤسسة دورها .

**خصائص النموذج السلوكي:** حدّد دافيد استون خصائص للنموذج السلوكي بمثابة دستور للنموذج السلوكي **الانتظام:** أي أن السلوك السياسي للأفراد يسير في شاكلة الظواهر الطبيعية.

**الإثبات:** أي فحص النظريات بالاستناد إلى السلوك الذي تتعلق به.

**التكميم و القياس:** من أجل جعل البحث أكثر علمية و اجتناب الأحكام الذاتية و تكييفها مع الأغراض العلمية للبحث.

**الأساليب الفنية،** و استخدام المناهج و الأدوات الكمية في دراسة و تفسير السلوك السياسي، أي التكميم و القياس. والتكامل بين مختلف العلوم الاجتماعية. و فصل القيم عن الأحداث لتحرير الموضوعية.

**النموذج السلوكي في العلاقات الدولية**

و بعدما أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى في النظام الدولي، ظهرت تحديات فكرية تواجه سياستها الخارجية، انتقل على أثرها إلى الكليات و معاهد الأبحاث فيها، و توفرت للولايات المتحدة الأمريكية الأموال لتنفيذ على الأبحاث المهتمة بالموضوع من قبل الحكومة و المؤسسات الخاصة، فبدأ العمل و الاهتمام بالقضايا التي تعتبر مهمة و حيوية بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية،و بعد ذالك انتشرت الأبحاث السلوكية في الجوانب الأخرى، و بدأت بتوظيف مجموعة من المفاهيم الجاهزة لعلوم أخرى ارتبطت بالمنهج التجريبي، لبناء نماذج تفسيرية في العلاقات الدولية مثل: مفاهيم القوة. البنية. الوظيفية. الإتزان. التكامل. اتخاذ القرار. ....الخ، فبدأت الدراسات السلوكية صياغة نظرية عامة و شاملة تفسر العلاقات الدولية، لكن بعد تعذر ذالك توجهوا إلى التركيز على بعض المشكلات و القضايا مثل: الوظيفية، التكامل الإقليمي، أسباب الحروب، الردع، نزع السلاح، التحالفات، و مواضيع أخرى متعلقة بالسياسة الخارجية و العلاقات الدولية، و قد نجح بعضهم بالتوصل إلى نظريات جزئية و من أمثلتها: الوظيفية "لدافيد ميتراني "، و التكامل الإقليمي "أرنست هاس"، الردع النووي "لبرنارد برودي"، و الاعتماد المتبادل "لجوزيف ناي " و العديد من النظريات.

**أهم الانتقادات الموجهة للمدرسة السلوكية:**

ارتبطت السلوكية بمشروع الحداثة و نشأة على مقولاتها و أسسها المعرفية، فقد كانت السلوكية الوجه العلمي و المنهجي للمشروع الحداثي، الذي تعرض لانتقادات أثرت على الجانب المنهجي المتمثل في السلوكية، و التي تعرضت بدورها غلى انتقادات صارمة فيما تتعلق برؤيتها للمعرفة و رؤيتها للقيم، و تأثير السياسة و الإيديولوجيات عليها، و يمكن سرد أهم تلك الانتقادات في:

* تأثير العامل الأيديولوجي و السياسي: كان السلوكيين يهدفون إلى بناء نظرية ليبرالية عامة تفسر علاقة المجتمع في مواجهة الماركسية أيام الحرب الباردة، و يأخذون المجتمع الأمريكي كنموذج للمجتمعات الأخرى.

* النزعة السكونية في التحليل: لأنها ترتكز على متغير واحد، و بالتالي تعجز عن تفسير أثر المتغيرات الأخرى، و تحاول أن تكتفي بما تقدمه تقنيات البحث العلمي، حيث أصبحت هذه التقنيات تحدد حقل البحث في موضوع معين فيحصل أحياناً نوع من الابتعاد بين البحث العلمي و الواقع الدولي.

* فقدان التوازن بين المنهج و الموضوع بسبب كثرة المفاهيم الغير المألوفة في العلاقات الدولية و المستقاة من العلوم الأخرى، و هيمنة المنهج على حساب الموضوع يؤدي إلى فقدان التوازن بين المنهج و الموضوع في الدراسات السياسية.

* تجاهل دور القيم: إن شعار السلوكيين كان ( علم خالٍ من القيم ) و الاكتفاء بالعمليات الإجرائية في البحث، فالحياد العلمي الذي تدعمه السلوكية من خلال تجاهل دور القيم ما هو إلاّ زائفاً، لأنه لا يمكن أن يوجد علم اجتماعي متحرر من القيم.

* عدم ملائمة التكميم و التكرارية في العلاقات الدولية: إن التفاعلات المتبادلة في العلاقات الدولية لا تطاوع التحليل الكمي، فتحليل الأحداث الدولية لا يتم في سياق الانتظام و التكرارية المفترضة، لأن التغيير هو أمر مألوف في العلاقات الدولية.

*فشل السلوكية في إزاحة التقليدية من التحليل السياسي: يرى فريد هاليداي أن فشل السلوكية له ثلاثة نواحي، أولاً الواقعية و الواقية الجديدة حافظت على موقع هيمنتها على الحقل الأكاديمي و الدراسات المتعلقة بالدراسات الدولية و ثانياً فشل السلوكية في تقديم بديل مفاهيمي لدراسة الدولة، و ثالثاً وعودها الكبيرة بتقديم نتائج جديدة و كبيرة بالاعتماد على البيانات المتاحة لم تكن محل ثقة و تصديق، لذلك بقيت السلوكية كمنهج تابع، و لم تتحول إلى منهج بديل عن مدخل مركزية الدولة.

* اعتراف روادها و مؤيديها بفشلها:فقد انتهى ديفيد استون إلى القول بفشل السلوكيين في الوصول إلى جعل الدراسات السياسية أكثر دقة و أكثر علمية.

**4/ علم السياسة ما بعد السلوكي:**

تشير إلى النقد الإبستومولوجي لمشروع الحداثة و التجريبية المفرطة التي اتسم بها التوجه السلوكي، و أهم المبادئ التي قام عليها علم السياسة في هذه المرحلة:

* إعطاء الأولوية للاهتمام بدراسة مشاكل المجتمع القائمة بدل التركيز على أدوات البحث العلمي.

* التأكيد على استحالة تطبيق الحياد في العلم( لا يمكن فصل الحقائق و القيم عن العلم).

* اتهام النموذج السلوكي بالنزعة السكونية التجريدية المنفصلة عن الواقع.

* التأكيد على توظيف العلم و المعرفة لتحسين أوضاع المجتمع.

جاء التيار ما بعد السلوكي كجزء من التمرد العام ضد الخطاب العقلاني في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر و لاستبدال الانبهار بالمنهج العلمي و الإدعاء بعلمية علم السياسة، و التي تعتبر أحد أهم أسس التيار السلوكي، كما سقط الاقتناع بوجود قواعد و معايير علمية ثابتة تحكم السلوك السياسي و يمكن اكتشافها. جاء التيار ما بعد السلوكي ليستبدل بكل ذالك باعتقاد يؤكد على أن كافة المعايير و الأحكام و التعميمات و المناهج هي مجرد أفكار و معايير و مناهج نسبية، لذالك لا يمكن لمنهجية واحدة مهما أدعت العلمية و الشمول الإحاطة بتفصيلات السلوك السياسي، الذي لا يستند إلى قاعدة عامة يمكن استنتاجها بالمحافظة و الفحص الميداني.

و قد طرح " دافيد استون " ملامح لمرحلة ما بعد السلوكية أطلق عليها اسم " عقيدة الملائمة" و هي:

* أولوية المضمون على التقنية في البحث العلمي: كان شعار السلوكيين من الأفضل أن تكون على خطأ بدلاً من أن تكون غامضاً، و أستبدل بشعار من الأفضل أن تكون غامضاً بدلاً من أن تكون منقطعاً عن الموضوع.

* التركيز على التغيير الاجتماعي في علم السياسة المعاصر بدل المحافظة على الوضع القائم، لأن السلوكيين حصرو أنفسهم في وصف الوقائع و تحليلها، بدل بذل الجهد الملائم لفهم السياق الاجتماعي الأعم لهذه الوقائع، و هو الأمر الذي جعل البعض يصف السلوكية بأنها إيديولوجية.

* التركيز على الواقع السياسي المعاش،لأن علم السياسة السلوكي انفصلت على الحقائق و الوقائع السياسية، لأنه كان مطلوباً من السلوكيين تطويع العلم لحل و مواجهة مشاكل المجتمع، و خلق واقع سياسي و اجتماعي أفضل بدل التركيز على العلم البحت.

* إعادة الاعتبار إلى الجانب القيمي و الأخلاقي: أنكر التحليل السلوكي دور القيم، و تعتبر القيم القوة الدافعة للمعرفة، لا نستطيع بدعوى العلمية أن نعزلها عن عملية التحليل السياسي.

* الربط بين الفكر و الحركة في علم السياسة: من خلال التركيز على مشكلات المجتمع، بمعنى أن ما بعد السلوكية ترفض النزعة التأملية للعلم فقط بل تؤكد على المزاوجة بين الفكر و الحركة في علم السياسة

* دور الجماعة العلمية في المجتمع: و هي حماية القيم الحضارية، فلا يستطيع العالم التذرع بدعوى التجرد و الموضوعية أن يعيشو بمعزل من المشكلات الاجتماعية الواقعية.

انطلاقا من ما سبق فغظن اتجاه ما بعد السلوكية قد ارتكز على الربط بين المعرفة المعاصرة من جهة، و بين مشاكل المجتمع و قيمه من ناحية أخرى.

**ما بعد السلوكية في العلاقات الدولية:**

وقد جاء اتجاه ما بعد السلوكية في العلاقات الدولية في السبعينات لمعالجة المشكلات الكبرى التي برزت على الساحة الدولية، و في مقدمتها سباق التسلح النووي، و تصاعد العنف الدولي، و في نفس الوقت العناية بتجديد أدوات البحث الملائمة لطبيعة العلاقات الدولية، لأن البيئة الدولية لحقها متغيرات لا حصر لها، فقد ترتب على ذالك عدم وجود اتفاق عام حول مادتها، حيث اتجه كل فريق من الباحثين لدراسة موضوع من موضوعاتها و الاهتمام بمشكلة بذاتها،و تنتقد ما بعد السلوكية المدرسة الواقعية لتركيزها على الدولة كالطرف الأهم في السياسة الدولية، معتبرة أن الإطار ألمفاهيمي الذي قدمته الواقعية صار عقيماً و غير صالحاً، و يعتبر بعض العلماء من مدرسة ما بعد السلوكية أن هناك أطرافاً غير الدولة تلعب دوراً موازياً لأهمية الدولة، و أحياناً أكثر أهمية من العديد من الدول في النظام الدولي و من أبرزهم روربت كيوهن و جوزيف ناي

و اتضح في مرحلة ما بعد السلوكية أن مادة العلاقات الدولية بدأت تشهد موجة من التخصصات الفرعية لكل منها مصطلحاتها و مفاهيمها الخاصة. مثل: الدراسات الإستراتيجية، دراسات و بحوث السلام، الاقتصاد السياسي الدولي، تحليل السياسة الخارجية، و الاعتماد المتبادل.

تعتبر مرحلة ما بعد السلوكية ليست قطيعة معرفية مع النموذج السلوكي و إنما هي محاولة لم تتجاوز الأسس الفلسفية التي تقوم عليها السلوكية.

**5/ الاتجاهات المستقبلية في علم السياسة:**

تعرض علم السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى عملية أو حركة إصلاح هدفت إلى تحدي هيمنة المناهج الكمية في علم السياسية، و قد أخذ أنصار التوجه الجديد من أن الإفراط في توظيف المنهجية التجريبية، إلى حد استبعاد دور القيم و الدين و الأخلاق، و تشجيع حصر أسئلة البحث في القضايا التي يمكن ملاحظتها و التحقق من وجودها الحسي فقط، حجة للقول أن ذالك من شأنه أن يضعف علم السياسة، و اتهموا السلوكيين بإغفال القضايا الجوهرية لعلم السياسة،فأصبح علم السياسة لا شيء أكثر من تحليل إحصائي لكتل متراكمة من المعلومات و قدم أنصار هذه الحركة البرسترويكا عدة اقتراحات من اجل علم سياسة جديد:

* إعادة الفلسفة السياسية إلى موقعها المحوري في الدراسات السياسية.

* إضافة المناهج البحثية النوعية و النظرية إلى برامج الدراسات.

* إعادة تنظيم البحث، و التركيز على دراسة المشاكل الحقيقية

* إعادة الاهتمام بدراسات السياسات العامة.

* تجديد المنظمات و المجلات الاحترافية للتأكيد على الحقائق السياسية فيما يتعلق بالمناهج و الاقترابات.

* تجيد الالتزام بدراسة السياسة في أجزاء مختلفة من العالم، و عدم الاقتصار على السياسة الأمريكية خصوصاً و الغربية عموماً.

* تشجيع الأبحاث المتداخلة مع الحقول المعرفية الأخرى.

دخلنا في مرحلة تحول جديد في علم السياسة يراد فيها أن يكون الحقل وثيق الصلة بالظاهرة السياسية، و أن يكون للمعلومات التي يتم التوصل إليها مضامين أخلاقية، لأن الظاهرة السياسية في نظر مناصري التوجه الجديد لعلم السياسة ترتبط في الغالب بقضايا تمثل مسألة حياة أو موت، من قبيل الحروب، النمو السكاني، الاحتباس الحراري، التلوث، الصراعات العرقية، الأمراض، و أن على علماء السياسة مسؤولية الاعتراف بأن ما يختارون دراسته من خلال المنهجيات التجريبية في علم السياسة، و ما يكتشفونه من خلال هذه المنهجيات تؤثر على حياة الملايين.

و يبدوا أن هذه الحركة الجديدة تقوم على توليفة من الوجهين التقليدي و السلوكي، حيث أصبح أتباعها أكثر ميلا للقبول بالحقائق و القيم مرتبطة مع بعضها، إضافة إلى قبولهم باستخدام كلا من البيانات النوعية للتوجه التقليدي و البيانات الكمية للتوجه السلوكي، و قبولهم أيضاً النظر إلى التاريخ و المؤسسات جنباً إلى جنب، و كذا لم يعد لديهم خوف من الأرقام و يستخدمونها للتعبير عن آرائهم، و إذا ما نظرنا إلى حقل العلوم السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، فلاشك أننا سنجد وجهات النظر التقليدية و السلوكية و ما بعد السلوكية بين أساتذة الحقل، أو حتى لدى الأستاذ نفسه.

## المحور الخامس: النظرية السياسية

### - مفهوم و مكونات النظرية:

**مفهوم النظرية:** هي مجموعة مترابطة من المفاهيم ة التعريفات و القضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر، عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات، بهدف تفسير الظواهر، و النظرية ليست هي أداة مجردة بل على العكس فإنها تحمل خلفيات فكرية و سياقات اجتماعية و ثقافية و تاريخية لأولئك الذين عملو على بنائها و صياغتها.

إن تطور حقل التنظير في العلاقات الدولية ناتج عن تأثير عدّة دوائر، هي التغيرات و المناقشات حول الموضوع نفسه، و ثانياً تأثير التطورات الحاصلة في العالم، و ثالثاً تأثير الأفكار الجديدة في ميادين العلوم الاجتماعية الأخرى، و الشيء المهم الأخر هو تأثير إسهامات أو الأفكار السياسية للفلاسفة، اللذين أصبحت إسهاماتهم بمثابة تقاليد أساسية في مجال النظريات في العلاقات الدولية و هم توماس هوبز و جون لوك و ايمانويل كانط و مكيافيلي و غيرهم، بحيث أصبحت الهوبزية رمز للنظريات التي تعتمد على القوة و اللوكية رمزاً للتنافس و الكانطية رمزاً للتعاون.

**مكونات النظرية:** إن دراسة نظريات العلاقات الدولية تستلزم لفهمها و الإحاطة بها التعريف بمكونات المعرفة الأساسية للنسق الذي ظهرت فيه، إذن النظرية هي انعكاس أو نتاج لمفهوم معين للعلم، و هي تتحرك في إطار نموذج معرفي وفق منهج معين، و من ثم فإن دراسة هذه المفاهيم في بيئتها و تطورها يعد أفضل الطرق لتقويم أي علم من العلوم.

المفاهيم هي حجر الأساس في بناء النظريات، و هي الرابط بين العالم و موضوعه، ففي كتابه ( إلهام العلم) كتب تومسون: ((أن كل العلوم تعتمد على المفاهيم، فهي الأفكار التي حملت الأسماء و هي التي تحدد السؤال الذي يسأله الباحث، و تحدد كذالك الإجابة عليه، و هي البناء الأساس الذي يؤسس عليه النظريات))، فالعلم دائماً يبدأ دائماً بتشكيل المفاهيم التي تصنف العالم، إذ أنه قبل شرح الظواهر لابد من وصفها، فالسؤال لماذا لا بد أن يأتي بعد ماذا الذي يجاب عليه من خلال إطار مفاهيمي يشخص و يصف ز ينظم و يكمم بالألفاظ أي ظاهرة، فالمفهوم هو القاعدة الأمبريقية للعلم، لذالك لا بد من التحرك وراء المفاهيم حيث لا يتقد العلم ما لم يتم التحرك فيما وراء صياغة المفاهيم، كما أن المفاهيم عي التي تساعدنا على نقل ما توصلنا إليه من نتائج علمية، فهي الواسطة لتبليغ الحقائق العلمية.

المفهوم: لفظ عام يعبر عن مجموعة متجانسة من الأشياء و هو عبارة عن تجريد للواقع يسمح لنا بأن نعبر عن هذا الواقع من خلال هذا خلاله، و هو تصور ذهني لواقع معين، فهم ليس الظاهرة السياسية بل مجموعة التصورات لأوضاع تلك الظواهر، فحينما نقول نظام سياسي ليس المقصود به نظاماً سياسياً مادياً، لكن نقصد به البناء الذي يحدث فيه التفاعل السياسي و حينما نتحدث عن السلطة السياسية لا تعني سلطة معينة و لكن نقصد أشكال احتكار وسائل القهر السياسي.

التعاريف:هي الوسيلة لإضفاء الدقة و الوضوح على المفهوم، فإذا كان المفهوم تعبيراً موجزاً يدل على ظاهرة ما فإن التعريف هو المناظر المعادل للمفهوم، غير أنه يتميز بخاصية الشرح و التحليل للظاهرة، ليجعلها أكثر قابلية للفهم.

التعريف الاسمي: هو عبارة تشرح أو تحدد أو تشير إلى الشخص الذي أطلق مفهوم معين يستخدمه في تحليلاته،و بعد ذالك يتبعه الباحثون بالقبول و الموافقة و الاستخدام، أي تحض بالاتفاق، لكن يشترط في أن يكون صائغ التعريف الإسمي من أهل الاختصاص في ميدانه.

التعريف الحقيقي: يعمل على إظهار خصائص الشيء الذي يعرفه و كذالك مكوناته، بمعنى آخر فإن التعريف الحقيقي هو المتغير التابع، في حين أن الواقع و خصائصه و مكوناته هو المتغير المستقل.

التعريف الإجرائي: و هو يقصد أن المفاهيم لا يمكن تعريفها و تحديدها إلاّ من خلال القياس، أي هدفه المزيد من الدقة و الوضوح، فعلى سبيل المثل يمكن تعريف الحرب من خلال معايير كمية يمكن قياسها مثل: عدد القتلى، حشد القوات و التعبئة العامة و غيرها من المؤشرات.

3- الفرضيات : الفرض في مدلوله المنهجي يعني الإجابة المفترضة، بمعنى أن الباحث بملاحظته سير الظاهرة يتصور حقيقة معينة يفسر بها الواقع، و هذا التصور هو إجابة مفترضة و هو الفرض.

4- الوصف: فالوصف او الدراسات الوصفية تستهدف إعطاء صورة كلية عن الظاهرة موضوع الدراسة قصد استكشافها، تمهيداً لوضع فروض و إجراء اختبارات أكثر تعمقاً، و تشمل البحوث التي تتناول وصف النظم السياسية في دول معينة أو الوصف العام للسياسة الخارجية لدول معينة.

5- التفسير: التفسير ركن أساسي في البناء النظري، بل أن هته المرحلة تسخر كل المستويات السابقة الأخرى لأجله بسبب أن جل المناهج و الاقترابات تستهدف التفسير بالدرجة الأولى، أي تسعى إلى إزالة اللبس و الغموض عن الظاهرة، و كشف العلاقات و الارتباطات التي تتحكم في الظواهر( اختبار نظرية أو إثبات فرضية).

6- التوقع و التنبؤ: الإنسان مصبوغ يحب التطلع إلى اكتشاف المجهول و استشراف المستقبل، فالمتخصصون هم أشد حرصاً على استشراف المستقبل، وفقاً للمناهج العلمية التي يتبنونها، فالتنبؤ بما سيكون هو بمثابة اختبار لمجموعة من المتغيرات أو الظواهر أو أحداث تقبل الملاحظة و المشاهدة، لهذا تكون تلك التنبؤات مصاغة في شكل قانون أو نظرية علمية.

**بناء النظرية:**

من خلال تبيان المكونات الأساسية لأية نظرية، كيف يتم بناء النظرية؟ و ما الذي يتطلبه التفكير النظري من الباحثين للوصول إلى التفسير و التنبؤ؟.

قدم جيمس روزنو تسعة نقاط جوهرية للاكتساب عقلية التفكير نظرياً هي:

1- الابتعاد عن التعامل مع القضية باعتبارها محاولة لبلورة تعريف جاهز للنظرية.

2- الوضوح. هل الهدف من الوصول إلى نظرية علمية أو معيارية، أي الواقعية في الطرح.

3- القدرة على طرح الفرضيات التي تستند إلى أسس علمية و منظمة و منسقة.

4- أن يكون ميالاً إلى السؤال على كل حالة أو حدث .

5- القدرة على التحكم في الموضوع .

6- متسامح مع الغموض و يكون مع مبدأ القابلية للتكذيب و عدم الثقة في الأحكام.

7- أن يكزن مرناً ذو روح علمية.

8- التخلي عن أي إيديولوجية.

9- أن يكون مستعداً لأن يكون مجرب مخطأ و احتمال الخطأ يكون وارداً.

**تصنيف النظريات:**

هناك تقسيمات مختلفة و كثيرة تعتمد على معايير مختلفة، منها من يعتمد على معيار الشمولية أو معيار المنهج المعتمد أو معيار القدرة على الوصف التنبؤ و التفسير.

- يصنف ولتز النظريات إلى نظريات نظامية و أخرى مختزلة، بناءاً على علاقتها بمستويات التحليل عنده، و هي الفرد الدولة و النظام الدولي، و عليه فإن النظريات التي ترتكز على القضايا التي تهتم بالفرد على المستوى القومي الدولة هي نظريات جزئية أو مختزلة، و النظريات التي تتفاعل على المستوى الدولي هي نظريات نظامية أو هيكلية.

– هناك تصنيف آخر للنظريات بناءاً على المنهج المتبع إلى نظرية تجريبية التي لها علاقة بالحقائق، و تقدم التفسير للظواهر بالملاحظة و الفرضيات التي تخضع للفحص، و النظرية المعيارية التي تتناول القيم و على العكس سابقتها فإن فرضياتها لا تخضع للفحص.

– كما أن هناك تصنيف آخر يصنفها على أنها:

1– النظرية التاريخية الوصفية: و التي تبحث عن التعميمات الواقعية حول الماضي و الواقع الحالي.

2– النظرية المعيارية القيمية: تحاول أن تجيب بطريقة استنتاجيه لإجابة على كيف يمكن أن يتم تحسن الأشياء.

3– النظرية العلمية التنبؤية: و التي تستخدم العلاقات الرياضية و تحاول التنبؤ بالمستقبل.

– و هناك تصنيف آخر يصنفها إلى عامة و متخصصة.

1– النظريات الكبرى: و هي نظريات تتناول عدد كبير من المتغيرات و دراسة العلاقة بينهما، لتفسير عدد كبير من الظواهر السياسية في مجال العلاقات الدولية، و دراسة مورجانتو من قبيل هذه الجهود، فالنظريات الكبيرة تكون أكثر ميلاً إلى التعميم، بشرط أن تغطي جميع جوانب العلاقات الدولية، لكن هناك صعوبة في صياغة نظرية تستجيب لكل هذه الشروط.

2– نظريات متوسطة: هي النظريات التي تهدف إلى تفسير ظواهر أضيق من سابقتها، أو في إطار محدد من المتغيرات، و من أمثلتها في العلاقات الدولية نظريات الصراع الدولي أو التكامل الدولي، و لعل أغلب الدراسات في العلاقات الدولية تقع في نطاق هذه الجهود التنظيرية.

النظريات الجزئية: و هي أقل مستويات التحليل و أضيقها نطاقاً، و هي ترتكز على بعد معين داخل تركيب ظاهرة كبيرة، و من أمثلتها في العلاقات الدولية المقاربات النظرية في تحليل السياسية الخارجية، نظرية الردع، نظريات القوة ...الخ.

وظيفة النظرية:

1– النظرية تبحث فيما هو قائم و ليس فيما يجب أن يكون.

2– الوظيفة الجوهرية للنظرية الدولية هي لتمكيننا من تحسين و تقويم معرفتنا المتعلقة بالواقع الدولي، إما في البحث عن فهم أوضح أو لتغيير ذالك الواقع.

3– ليست النظرية بناء مجرد لم يتم صياغتها بمعزل عن الحقل السياسي، و إنما هي تعكس رغبتنا لتفسير و تقديم أفضل الحلول لمشاكل النظام الدولي.

4– النظرية تعكس تراكم المعرفة لفرع من الفروع.

5- النظرية تزودنا برؤى بديلة لتفسير الأحداث و الاستجابة لها.

6- يمكن أن تساعد على تصرف معين بناءا على توقع معين.

7- تنظم الحقائق و البيانات يمكن التعرف على جوانب الانتظام أو عدم الانتظام في التفاعلات في تلك الظواهر.

8- المساعدة في تفهم الكيفية التي تحدث بها الظواهر المختلفة التي تشكل محور اهتمام هذه النظرية.

لقد حاول الكثير من الباحثين السياسيين إرساء نظريات كبرى في العلوم السياسية تناولت مواضيع شتى، لكن الواقع خيب آمالهم، فتراجعو عن ذالك و أدركو أن التركيز على النظريات ذات المدى المتوسط أو المدى القصير هو أكثر فاعلية لأن الظواهر السياسية يصعب ضبطها و التحكم فيها، و يضاف إلى ذالك اختلاف القيم و الثقافات و السياقات التاريخية التي تحيط بالظاهرة السياسية، ز من ثم فإن التعميم يصطدم بخصائص الظاهرة السياسية.

**مستويات بنية النظرية في العلاقات الدولية**

**1- المستوى الأنطولوجي:** و هو مبحث الوجود و الماهية من خلال معرفة جوهر النظرية و الاختلاف في الإسهامات النظرية، و المراحل التي مرت و تطورت من خلالها النظرية السياسية.

**2- المستوى الميتادولوجي المنهجي:** من خلال البحث عن طبيعة المنهج المتبع في التحليل، فأي نظرية تعتمد أو تبني أفكارها على مجموعة سبل و أدوات منهجية معينة.

**3- المستوى الإبستومولوجي:** في هذا المستوى نحتاج التحليل الإبستومولوجي بمختلف مراحله ( الوصف، التحليل، النقد) لفهم أوضح لمختلف جوانب النظرية السياسية، خاصة آلية النقد سواءً أكان داخلي أم خارجي من خارج المجتمع العلمي المتبني النظرية.

**4- المستوى الإيتومولوجي المفاهيمي:** و هو مستوى مهم لفهم النظرية السياسية، لأن كل نظرية تتكون أو تعتمد بالأساس على مجموعة من مفاهيم أساسية، لا يمكن فهم النظرية إلاّ من خلال تحديد و فهم هذه المفاهيم و التعاريف.

**5- المستوى الإكسيولوجي القيمي:** كل النظريات مهما كانت في العلوم السياسية تحمل بعداً قيمياً، أي جاءت لتدافع عن قيم و عن مبادئ تؤمن بها.

## الحوارات النظرية في العلاقات الدولية

كانت مساهمة فلاسفة العلم كبيرة و مهمة في بلورة تطور النظريات العلمية في أي علم من العلوم، فإذا جئنا إلى تطبيق مبدأ التكذيب لـ: بوبر نقول أنه يصعب تطبيقه في مجال الدراسة في العلاقات الدولية ، بالنظر إلى صعوبة الحكم على النظريات بالتكذيب أو التصديق المطلق، هذا الأمر الذي يتلاءم أكثر مع العلوم الطبيعية، لكن أفكار كل من كوهن و لاكاتوش ساعدت على رؤية التغيرات التي تحدث داخل النماذج و البرامج البحثية من خلال نظرتي التراكم و الثورية في تقدم العلم، من خلال القول أن العلم يتطور من خلال التراكم في الظروف العادية، لكن في وقت الأزمات و فشل النظريات في تفسير الظواهر تأتي الثورة المعرفية القادرة على تفسير الظواهر الجديدة.

كان الهدف من إدخال مفهوم النموذج المعرفي إلى الحقل النظري للعلاقات الدولية هو إدخال بعض التنظيم إلى حقل العلاقات الدولية، من خلال التعامل مع المداخل المختلفة في دراسة العلاقات الدولية كأنها نماذج معرفية مختلفة، و على هذا الأساس أصبح هناك أكثر من نموذج معرفي واحد و هي: النموذج المعرفي الواقعي، و ألتعددي و البنيوي أو الراديكالي، جوهرها هي الإجابة عن ثلاثة أسئلة: ما هي طبيعة السياسة العالمية؟ و ما هي وحدات التحليل على المستوى العالمي؟ و ما هي أهم المشكلات التي تؤدي إلى تفجير الأوضاع العالمية؟.

و بناءاً على كل هذا فإن تاريخ الدراسة النظرية للعلاقات الدولية يمتلك أكثر من نموذج معرفي غبر كل مراحل تطور التنظير، تبلورت عدّة اختلافات بين هذه النماذج المتعاقبة في أربعة أنواع من المناظرات، أولاهما كان بين المثالية و الواقعية، و ثانيها بين التقليدية و السلوكية، و ثالثها كان بين التعددية و الماركسية و الرابعة كانت بين الحداثة و ما بعد الحداثة أي بين السلوكية و ما بعد السلوكية.

إن التطور النظري يتم من خلال التزاوج بين التاريخ الداخلي و التاريخ الخارجي لأي بناء نظري، التاريخ الداخلي هو التطور المفاهيمي و الحوار الداخلي و التجديد من داخل النظرية، أما الحوار الخارجي هو تطور النظرية في السياق الأكاديمي لدراسة العلاقات الدولية من خلال تفاعلها و حوارها مع النظريات الأخرى الموجودة في نفس الحقل المعرفي.